



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955



كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

مظاهر النظرية الاستعمارية العنصرية للاستعمار الاستيطاني الفرنسي تجاه المجتمع الجزائري 1830 – 1954.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

إشراف الدكتور:

- مسعود عوادي

إعداد الطلبة:

- زينب خنطول

- سهام مبارك أودينة

لجنة المناقشة:

الاسم اللقب	الصفة	الجامعة
د. محمد رحاي	رئيسا	جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
د. مسعود عوادي	مشرفا ومقررا	جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
أ. علاء الدين يحوي	مناقشا	جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة

السنة الجامعية: 2024 – 2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر ومحرفان

الحمد لله

الحمد والشكر لله الحي القيوم أولا وأخيرا وامثالا لقوله صلى الله عليه وسلم:

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله " أما بعد....

نتوجه بجزيل الشكر وجميل العرفان للأستاذ " عوادي مسعود" الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه المذكرة، وعلى جميع توجيهاته وملاحظاته ونصائحه. كما أتقدم بالشكر للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم الإشراف على مناقشة هذا العمل المتواضع.

كما نتقدم بخالص الشكر إلى أساتذتنا الكرام الذين أناروا لنا دروب العلم وزرعوا فينا حب المعرفة وكانوا بمثابة أسرتنا الثانية جزاهم الله كل خير.

وفي الأخير نشكر كل من قدم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد ونسأل الله عز وجل

أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم إنه قريب مجيب.

إهداء

الحمد لله الذي وفقني في هذا العمل المتواضع الذي أهديه مع أسمى عبارات الحب والامتنان إلى من جرع الكأس فارغا لي يهديني قطرة حب إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم أخي الذي كان لي سنداً وعوناً من بعد أبي رحمه الله أسأل الله أن يتغمده برحمته الواسعة ويرزقه الفردوس الأعلى يارب.

إلى أمي التي طالما رافقتني بدعائها وحرصها علي أطال الله في عمرها. إلى إخوتي وأحبتي وأصدقائي وكل من ساهم في نجاحي من قريب أو من بعيد إلى الأساتذة المحترمين وزملائي في الدراسة.

إلى كل من قدم لي يد المساعدة.

زينب

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أما بعد:
إلى من علمني أن الحياة نضال، أن العلم هو أعظم سلاح إلى من لم يخل علي بشيء وسعى
من أجل راحة نجاحي إلى من كان ولا يزال قدوتي وسندي أبي أطال الله في عمره .

إلى من كانت دعواتها سنداً لي في كل لحظة، إلى من سهرت الليالي لتتير طريقي بنورها، إلى
من شاركتني لحظات الفرح واحتوتني في أوقات الحزن إلى أعظم امرأة في حياتي أمي أطال
الله في عمرها إلى ركيزتي داعمتي الأولى جيشي الذي أنتصر به دائماً وأبداً أختي حبيبتي وإلى
كل أخوتي وأخواتي وجميع أفراد أسرتي .

سهام

- ملخص:

تتناول هذه الدراسة الوضع المأساوي الذي عاشه الجزائريون خلال فترة الاستعمار الاستيطاني الفرنسي، الذين تعرّضوا لأبشع الممارسات والظلم والانتهاكات. فقد جُرد الشعب الجزائري من أرضه ومصادر رزقه، وتعرض للإبادة والتهجير، وسُلبت منه حقوقه الأساسية، واستُهدفت هويته وشخصيته، في محاولة لطمسها وفرض الثقافة الفرنسية بالقوة. بالإضافة إلى كل هذا عانى الجزائريون من الفقر والبؤس بسبب السياسات الاستعمارية الجائرة، وكانوا ضحية تمييز عنصري مقيت، إذ نظر إليهم المستوطنون بازدراء وتعالٍ، وعاملوهم كعبيد في وطنهم. وقد تجسدت هذه النظرة العنصرية في ممارسات إدارة المستعمر، وفي سلوك ونظرة مستوطنينها من خلال صحفهم وكتاباتهم وأدبهم الكولونيالي، التي عبّرت عن أنانيتهم وعقدة الشعور بالتفوق لديهم. هذا كله يعكس الطابع القمعي والعنصري للاستعمار الاستيطاني الفرنسي في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: المجتمع الجزائري، الاستعمار الاستيطاني، التمييز العنصري.

Sammary:

This study examines the tragic situation experienced by Algerians during the period of French colonial settlement. They were subjected to the most heinous practices, injustice, and violations. The people were stripped of their land and livelihoods, subjected to genocide and displacement, deprived of their basic rights, and targeted in an attempt to obliterate them and impose French culture by force. In addition to all this, Algerians suffered from poverty and misery due to unjust colonial policies. They were victims of abhorrent racial discrimination, as the settlers viewed them with contempt and arrogance, treating them as slaves in their own homeland. This racist view was embodied in the practices of the colonial administration and in the behavior and outlook of its settlers, reflected in their newspapers, writings, and colonial literature, which expressed their selfishness, self-righteousness, and their sense of superiority. All this reflects the oppressive and racist nature of French settler colonialism in Algeria.

Keywords: Algerian Society, settler colonialism, racial discrimination

مفتاح

أظهر المستعمر الفرنسي منذ وطئت أقدامه أرض الجزائر عداء شديدا لكل ما هو جزائري، واتخذ من الجزائر مستعمرة استيطانية، وقد مثلت سياسته الاستيطانية أكبر خطر هدد كيان الشخصية الجزائرية، فالموجات الكثيفة من المستوطنين التي تعرضت لها الجزائر، صاحبها عمليات اقتلاع وتهميش وتشريد للسكان الأصليين، وأصبح المستوطنون ينظرون إلى الجزائر بعد مرور أجيال على أنها موطنهم الأصلي. وتكمن معاناة الشعب الجزائري في كون الاستعمار الفرنسي استيطانيا فهو ليس استيلاء على أرض فقط، بل احتلالها وإبادة شعبها وتهجيرها، وتدمير بنيته الاجتماعية والثقافية، ثم إحلال محله كيان دخيل مكون من خليط أوروبي، سخر له الاستعمار كل الظروف حتى أصبح سيد في غير أرضه. وصاحب الأرض أضحى خماسا محروما من حقوقه وممتلكاته. وبالإضافة إلى استعباده، فقد أحتقر من طرف ذلك المستوطن الذي كان متشبعا بالعنصرية والشعور بالتفوق عليه.

وضمن هذا السياق سيتمحور بحثنا، الموسوم بـ : **مظاهر النظرة الاستيعالية العنصرية للاستعمار الاستيطاني الفرنسي تجاه المجتمع الجزائري 1830 - 1954**.
أهمية الموضوع:

تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في أنه:

- يسلط الضوء على الخلفية الفكرية الأيديولوجية التي حكمت تعامل الاستعمار الفرنسي مع الجزائريين، التي كانت تقوم على استعلاء ثقافي وعرقي، تبررها سياسات القمع والإقصاء ومحاولة طمس الهوية.
- تساعد دراسة هذه النظرة في فهم السياسات والممارسات الاستعمارية في الجزائر، كالتمييز في التعليم ومصادرة الأراضي وعبر مؤسساتها الرسمية، وهي سياسة نابذة من نظرة دونية تجاه الأهالي.
- يعتبر هذا الموضوع مساهمة في استعادة سردية تاريخية من منظور جزائري، تقاوم الرواية الاستعمارية التي حاولت تبرير الاستعمار باعتباره مهمة تحضيرية أو تمديدية.
- يبرز المظالم التاريخية التي تعرض لها الجزائريون بسبب هذه النظرة العنصرية، ويساهم في التثبث بالهوية والكرامة الوطنية، ويذكر بأهمية مقاومة كل أشكال التبعية والاستعلاء.

الإطار الزمني والمكاني:

حصرنا دراستنا لهذا الموضوع في الفترة من 1830-1954 لأنها تمثل الإطار الزمني الكامل للتجربة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وهي الفترة التي تبلورت فيها النظرة الاستعمارية العنصرية بأشد صورها، وتركت بصمات عميقة في المجتمع الجزائري، ولا زالت محل دراسة وتحليل إلى اليوم.

أسباب اختيار الموضوع:

***الأسباب الذاتية:** جاء اختيارنا لهذا الموضوع انطلاقاً من جملة من الدوافع الذاتية التي حفزتنا على التطرق إلى مجموعة من الأسباب الذاتية والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الاهتمام الشخصي بتاريخ الجزائر المعاصر لاسيما فترة الاستعمار الفرنسي التي شكلت منعطفاً حاسماً في تكوين الهوية الوطنية، وما رافقها من سياسات استعمارية قائمة على التمييز العنصري والإقصاء الثقافي.
- الرغبة في فهم الخطابات الاستعمارية العنصرية التي تبناها الاستعمار الاستيطاني كمبررات لفرض هيمنته على المجتمع الجزائري، والتعمق في تحليل الخلفيات الفكرية والأيدولوجية التي أسهمت في بناء صورة دونية عن الإنسان الجزائري.

***الأسباب الموضوعية:** تتمثل في رغبتنا في محاولة فهمنا وبطريقة أكاديمية لمسألة الخلفيات الفكرية والسوسيولوجية التي شكلت الرؤية الاستعمارية تجاه المجتمع الجزائري.

- محاولة فهم مدى ارتباط النظرة الاستعمارية بطبيعة المشروع الاستيطاني ذاته.
- فهم آليات تفكيك المجتمع الجزائري من خلال تسليط هذه الدراسة الضوء على كيفية استخدام النظرة العنصرية في تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية الجزائرية وتهميش الهوية الوطنية.

الإشكالية:

شكّل الاستعمار الفرنسي في الجزائر نموذجاً عنيفاً عن الهيمنة، تجاوز الاحتلال العسكري رؤية استعمارية عنصرية، صوّرت الجزائريين كشعب متخلف لا يرقى للحضارة إلا عبر التبعية لفرنسا، وأظهر ذلك في السياسات والخطابات الاستعمارية، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية: فيما تمثلت مظاهر وتجليات العنصرية الكولونيالية تجاه المجتمع الجزائري 1830-1954؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- كيف كانت السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر؟

- ما هي أهم سياسات التعسف والتفرقة التي مارستها الإدارة الاستعمارية تجاه الجزائريين؟

- فيما تمثلت مظاهر التمييز والعنصرية للاستعمار الفرنسي؟

خطة البحث:

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبنا خطة بحث تضمّنت ثلاثة فصول، حيث تطرّقنا في الفصل الأول المعنون بـ "السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر، إلى تحديد ماهية الاستيطان الفرنسي في الجزائر وأسبابه، وإلى مراحل العملية الاستيطانية في الجزائر، كما تحدثنا عن آليات السياسة الاستيطانية الاستعمارية في تثبيت الوجود الأوروبي، وعن أهداف العملية الاستيطانية.

وتناولنا في الفصل الثاني المعنون بـ "سياسة التعسف والتفرقة للإدارة الاستعمارية تجاه الجزائريين" سياسة التفرقة الاستعمارية أمام القانون، والتمييز في التعليم والتوظيف والأجور.

وسلّطنا الضوء في الفصل الثالث الموسوم بـ "النزعة العنصرية الكولونيالية تجاه المجتمع الجزائري" النظرة العنصرية الاستعمارية للمستوطنين من خلال صحفهم، وكتاباتهم. وعنصريتهم وتعاليمهم من خلال ممارساتهم مع الجزائريين ومعاملاتهم معهم.

منهج البحث:

وللإجابة على إشكالية البحث اعتمدنا على المنهج التاريخي، القائم على آلية الوصف الذي ساعد على تتبع التسلسل التاريخي للأحداث المتعلقة بالموضوع اعتمادا على المصادر والمراجع المختلفة. كما اعتمدنا على التحليل من خلال تحليل بعض الأحداث التاريخية وربطها ببعضها البعض. إضافة إلى المنهج المقارن والذي يقوم على المقارنة بين فئات المجتمع الفرنسي تجاه الجزائريين.

أهم المصادر والمراجع:

من أجل الإحاطة بهذا الموضوع من جوانبه حاولنا قدر الإمكان أن تكون مصادره ومراجعته متنوعة، فاعتمدنا بشكل أساسي على المصادر منها:

الجرائد:

أفادتنا الجرائد الاستعمارية الفرنسية ومستوطنيتها خاصة في المبحث الأول من الفصل الثالث المتعلق بالنظرة العنصرية الاستعمارية من خلال صحفهم، والتي تعرفنا من خلالها على ما اعتبروه الفرنسيين تخلفا أو بدائية في المجتمع الجزائري لتبرير الرسالة الحضارية للاستعمار.

- L'écho d'Alger, n° 28 Octobre 1919.

- La dépêche de Constantin, n°3369, Le juillet 1920

الكتب:

- كتاب فرحات عباس، ليل الاستعمار وهو مصدر جد مهم ساعدنا كثيرا خاصة في الجزء المتعلق بالتفرقة العنصرية والتمييز في التوظيف والأجور ومظاهر النزعة العنصرية تجاه الجزائريين.

- كتاب أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر والذي يعد مصدرا مهما لأنه يقدم وصفا دقيقا للواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي للجزائر في ظل الاستعمار، ويبيّن السياسات التي سعت لتحقيق هويتهم ومحو معالمهم الحضارية. كما اعتمدنا على مراجع متخصصة في موضوعنا نذكر منها:

- كتاب يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954 الذي منحنا خلفية تاريخية وتحليلية قوية لتفسير كيف تجلت النظرة العنصرية الاستعمارية من خلال السياسات والممارسات الاستيطانية.

إضافة إلى كتاب بن داهة عدّة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، الذي يكشف كيف عبّر الاستعمار الاستيطاني عن نظره الاستعمارية من خلال انتزاع أراضي الجزائريين واعتبرهم غير مؤهلين لامتلاكها. بالإضافة إلى مجموعة من مؤلفات أبو القاسم سعد الله (تاريخ الحركة الوطنية، تاريخ الجزائر الثقافي، أبحاث وآراء) التي ساعدتنا في توثيق سياسات الاستعمار الاستيطاني وأساليبه في تهيش وتحضير المجتمع الجزائري، كما توضح كيف استخدم الاستعمار الثقافة والتعليم والإعلان لترسيخ التمييز العنصري.

وكذلك استعنا ببعض المراجع باللغة الأجنبية منها:

Alexis de tocqueville, de Laconie en Alger, complexe, Brux
elles, 1988. الذي أفادنا خصوصا في الفصل الثالث المتعلق بالنظرة العنصرية الاستعمارية للمستوطنين تجاه الجزائريين من خلال كتاباتهم.

المجلات:

هناك مجموعة من المقالات المتخصصة التي درست موضوعنا هذا هي:

- أرزقي شوتيام، سياسة الاستيطان الفرنسي في الجزائر (1830-1914) الذي أفادنا في فهم السياسات الممنهجة التي اعتمدها الاستيطان الفرنسي لفرض الهيمنة العرقية، مثل مصادرة الأراضي وتوطين الأوروبيين وإقصاء السكان الأصليين. كما يبرز كيف تجسدت العنصرية الاستعمارية في التشريعات والممارسات اليومية تجاه الجزائريين.

الرسائل الجامعية:

كما اعتمدنا في دراساتنا هذه على بعض الرسائل الجامعية.

- محمد بوشنافي، آثار السياسة الاستيطانية على المجتمع الجزائري، والتي ساعدتنا بشكل كبير في دراستنا لموضوعنا في الكشف عن الآثار العميقة للسياسة الاستيطانية على البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، حيث توضّح كيف كرّس الاستيطان التفاوت العنصري والاستعلاء الأوروبي عبر التمييز في الحقوق والخدمات.

الصعوبات:

تواجه كل باحث مجموعة من الصعوبات في مسار إنجاز له بحثه العلمي، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا بدورنا نذكر منها:

- التشابه والتداخل في المعلومات مما صعب علينا التحكم في المادة العلمية.

- عدم تحكّمنا في اللغة الفرنسية مما صعب علينا ترجمة مصادر مهمة تخدم موضوعنا بدقة.

- فقر المكتبة الجامعية من المادة التاريخية الخاصة بموضوعنا.

- عدم الحصول على المصادر المهمة التي لا تتوفر بصيغة PDF.

وفي الأخير، نعرب عن أسمى عبارات الشكر والامتنان للدكتور المشرف مسعود عوادي على صبره وتفهمه الكبيرين، وعلى دعمه المستمر بنصائحه وإرشاداته القيمة طوال فترة إعدادنا هذا العمل، ونأمل أن يكون ما قدمناه إسهاما مفيدا يُضاف إلى المكتبة العلمية في هذا المجال، وأن يفتح الباب أمام المزيد من الدراسات التي تكمل هذا الموضوع.

الفصل الأول: السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر.

المبحث الأول: ماهية الاستيطان الفرنسي في الجزائر وأسبابه.

المبحث الثاني: مراحل العملية الاستيطانية في الجزائر.

المبحث الثالث: آليات السياسة الاستيطانية في تثبيت الوجود الأوروبي.

المبحث الرابع: أهداف العملية الاستيطانية

تعرّضت الجزائر إلى أبشع أنواع الاستعمار الأوروبي الحديث والذي مس جميع المجالات العسكرية الدينية والفكرية والاقتصادية، والاستعمار الاستيطاني يعتبر من أخطر أنواع الاستعمار الذي طبّقته الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر حيث تباينت مفاهيم، وتعريف الاستيطان الفرنسي وأجمعت على أنه:

المبحث الأول: ماهية الاستيطان الفرنسي في الجزائر وأسبابه.

1_ مفهوم الاستيطان

لغة: الاستيطان في اللغة هو اتخاذ المكان وطنا ويقال وطن بالمكان أي أقام به واستوطنه واتخذه وطنا أي مجالا ومسكنا يقيم فيه.¹

اصطلاحاً: وهو عملية اجتماعية واقتصادية تقوم على تهجير جماعة بشرية من أرضها إلى أرض أخرى بهدف السيطرة على البلد باستعمال القوة ضد المستعمرات² وهو انتقال كتلة بشرية من مكانها وزمانها إلى مكان وزمان آخر حيث تقوم هذه الكتلة بإبادة السكان الأصليين أو طردهم أو استبعادهم أو استعمال كل هذه الأساليب معاً.³

وكذلك هو أن تقوم دولة أخرى بالقوة وتعمل على تهجير أبناء البلد المحتل ومن تم توطين أفراد منها داخل البلاد المستعمرة والاستلاء على أراضيها من قبل المستوطنين.⁴ كما يعرف أيضاً أنه محو لشخصية

¹ - محمد بن موسى مصطفى الدالي، الوطن والاستيطان دراسة فقهية، المجلد 1، مكتبة الراشد، الرياض، 2013، ص 34.

² - شوقي أبو خليل، تحرير الاستعمار، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية 1991، ص 47، ص 48.

³ - عبد الوهاب الميسري، الصهيونية والعنف، من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 2002، ص 101.

⁴ - حسن موسى محمد عقي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2005، ص 60.

الشعب الأصلي المستهدف من طرف الاستيطان عن طريق العنصر المهاجر عدديا ومن ثم صبغ المنطقة بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم مما يؤدي إلى تراجع العنصر الأصلي والسيطرة على أراضيه بالقوة.¹

الاستيطان أيضا هو ظاهرة هجرة تدفق نحو منطقة سبق الاحتلال بها أو سياسة التعمير و الاستلاء على أراضي الجزائريين من طرف المعمرين.²

ويعد مصطلح الاستيطان مصطلح حديث الاستعمال ظهر نتيجة الثورة الصناعية في أوروبا وهو يعتمد على توطين أكبر عدد ممكن من الفرنسيين والأوربيين بالجزائر الذين عاشوا كطبقة مميزة على السكان الأصليين في جميع النواحي من خلال تطبيق فرنسا لسياسة التفرقة العنصرية التي لم يكن أساسها اللون وإنما الاختلاف العرقي والديني والثقافي.³

وبذلك فإن الاستيطان هو جزء لا يتجزأ من الاستعمار فهو يمثل وسيلة أساسية لحل المشاكل التي تواجهها الدول جراء عدم تمكنها من إرضاء الاحتياجات للمجتمع الأوربي.

ومن هنا يمكن القول إن الاستيطان فرع من فروع الظاهرة الاستعمارية أساسا من المصالح الاقتصادية والاستراتيجية والاعتبارية ويندرج في إطار المحاولات التي تستهدف السيطرة العالمية للحضارة الفرنسية.

2- أسباب الاستيطان:

بناء على هذه الاعتبارات، لا يبدو من الضروري الخوض في مناقشة مستقلة لأسباب وظروف نشأة الاستعمار الاستيطاني بمغزل عن تلك التي تفسر نشوء الاستعمار التقليدي، خاصة أن هذه

¹ - عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص 9.

² - صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، 1830-1925، ديوان الحقوق والأدب والعلوم الاجتماعية مديرية النشر، جامعة قلمة، 2010، ص 98.

³ - حورية طبعة، السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية 1780-1954، أطروحة دكتوراه (ل، م، د)، تاريخ معاصر، جامعة أدرار، الجزائر، 2019-2020، ص 55.

الأخيرة قد تناولتها دراسات وأبحاث معمقة في أكثر من موضع. ولقد تطورت الأهداف الفرنسية لتشمل الاستيطان الدائم والواسع النطاق ويمكن أن نلخص أسبابه فيما يلي:

سعت فرنسا إلى دمج الاقتصاد الجزائري ضمن الاقتصاد الفرنسي من خلال التركيز على الجانب الزراعي لا سيما في مجال الزراعات الصناعية حتى يكون ذلك مكملا للاقتصاد الفرنسي المعتمد على الصناعة.

- محاولة فرنسا إيجاد أسواق خارجية لتصريف فائض إنتاجها الصناعي وهي سياسة لن تكلل بالنجاح إلا من خلال تشجيع الاستيطان.¹

- تحويل المشروع الاستعماري إلى عملية استيطانية شاملة تتجاوز الجوانب العسكرية والسياسية لتشمل مختلف الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بهدف ترسيخ الوجود الاستعماري وتغيير البنية السكانية والطبيعية المستهدفة.²

- شكلت الحاجة الملحة للمواد الأولية دافعا رئيسيا لفرنسا لضمان استمرارية تنميتها الصناعية والاقتصادية.

- السعي إلى إيجاد مناطق خارج حدود وطنها بهدف التخفيف من حدة الضغط الديمغرافي الداخلي وتقليل معدلات البطالة من خلال توطين الفائض السكاني.

- تصاعد التنافس بين فرنسا وبريطانيا على مناطق النفوذ لأسباب اقتصادية والاستراتيجية مما دفعها للبحث عن مستعمرات جديدة في إفريقيا وآسيا وهذا يتحقق إلا عن طريق الاستيطان.³

¹ - بوشناني محمد، "آثار السياسة الاستيطانية الفرنسية على المجتمع الجزائري"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلاي قسم التاريخ، سيدي بلعباس، ص 107.

² - نفسه، ص 192.

³ - أرزقي شويثام، "سياسة الاستيطان الفرنسي في الجزائر 1830-1914"، مجلة التاريخ المتوسطي، م 2، ع 2، جامعة الجزائر 2، ص 191.

- سيطرة الاشتراكيون على الحكم في فرنسا حيث وعدت الحكومة العمال بتطبيق الاشتراكي في مجال الصناعة لكنها واجهت كثير من المشكلات عاقت تطبيقه مما أدى بها إلى تهجيرهم توطينهم بالجزائر.
- محاولة فرنسا إيجاد حلا للصراعات الاجتماعية في فرنسا من خلال توطينهم بالجزائر وتطبيق نظام الملكيات الصغيرة في مزارع المستوطنين.¹
- سعي الحضارة الغربية للهيمنة العالمية ما يجعل الدقيق تفسيرا بمعزل عن السياقات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية التي ميزت أوروبا خلال القرن التاسع عشر بشكل خاص.²
- التوسع الاستيطاني لم يكن مجرد نشاط مدني بل ارتبط أيضا بالهيمنة العسكرية مستندا إلى فكرة أن الأراضي غير الأوروبية تعد مناطق مختلفة أو خارج نطاق الحضارة وقد ساعد هذا التصور إلى جانب النظرة التي اعتبرت مناطق شمال إفريقيا فضاء فارغا ومفتقرا للتنظيم على تبرير الاستلاء الفرنسي على أخصب وأفضل الأراضي التي كانت ملكا للسكان المحليين.³

¹ - عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص 21

² - جورج جبور، "الطبيعة العنصرية للاستعمار الاستيطاني"، المجلة المصرية، م 27، 1971، ص 181.

³ - عميرايو أميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، ط 2، 2009، ص 71.

المبحث الثاني: مراحل العملية الاستيطانية في الجزائر.

كانت العملية الاستيطانية في الجزائر منذ بدايتها رسمية ومخطط لها حيث عرفت منذ الحملة الفرنسية تدفقا بشريا مكون من الفرنسيين وبعض الأجناس الأوروبية الأخرى ففرنسا الاستعمارية خططت لتكوين مجتمع جديد يسيطر على المجتمع الجزائري ويتفوق عليه ديمغرافيا وذلك بالتخطيط للاستيطان الأوروبي عن طريق القوة رغما عن إرادة سكانها الأصليين وقد مرت العملية الاستيطانية بمرحلتين أساسيتين هما:

1- الاستيطان في العهد العسكري 1830-1870

بداية لم تكن الحركة الاستيطانية سوى تجربة محدودة ارتبطت بجنود الحملة الفرنسية، حيث بدأت على شكل استيطان عسكري بمبادرة من الحاكم العام كلوزيل الذي قام بمصادرة مئة هكتار وأسند إدارتها إلى مجموعة من الجنود تحت اسم المزرعة الإفريقية النموذجية ومنذ ذلك الحين أصبح تطور الحركة الاستيطانية مرتبطا بشكل وثيق بمسار مصادرة أراضي المسلمين.¹

لم يكن النجاح في المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر ممكنا بالاعتماد فقط على العامل الديمغرافي من خلال تشجيع الهجرة الأوروبية إذ أن غياب الاحتياطات العقارية الكافية كان سيجعل هذا التوجه بلا جدوى. ومن هنا يتضح أن الأرض كانت العنصر الجوهرى في المسألة الاستيطانية.²

وفي سنة 1830 باشرت اللجنة الفرنسية تحقيقا حول أوضاع المناطق المستعمرة، وتواصلت إلى نحو 8000 أوروبي كانوا يقيمون في مدينة الجزائر ومحيطها وإسنادا إلى تقرير هذه اللجنة، صدر مرسوم في 22 جويلية 1834 يحث الأوروبيون على التوجه نحو ضواحي الجزائر. وقد استجاب بعض

¹ - سلوان رشيد رمضان، "الاستيطان الأوروبي بالجزائر 1830-1870"، مجلة جامعة تكريت للعلوم، ع4، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة تكريت، 2013، ص6.

² - حياة قنون، "الاستيطان الفرنسي ومصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن التاسع عشر"، مجلة الحوار المتوسطي، ع3، قسم التاريخ، جامعة سيدس بلعباس، ص46.

الفرنسيين لهذا التشجيع ومعظمهم كانوا ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية راقية وتخلو عن مناصبهم في فرنسا بدافع من سياسة الإدارة الاستيطانية التي دعمت هجرتهم.¹

بعد ذلك بدأ الأوروبيون في إنشاء تجمعات سكانية في ضواحي مدينة الجزائر وكان ذلك مترافقا مع تقدم الجيش الفرنسي داخل بوفاريك، الأربعاء العاشور، الخريسة، وأولاد فايت حيث منحت الإدارة الأراضي للوافدين الأوروبيين لاستخدامها. قرر كلوز يل² الحاكم العام سنة 1836 إنشاء مركز بجانب معسكر الجيش الدائم. وشرع في تخطيط لمدينة تتشكل من 562 قطعة أرضية مجزأة على مساحة 3/1 الهكتار للقطعة الواحدة وهو يعبر عن المتحمسين لسياسة الاستعمار الاستيطانية الرسمي والحر فكان له دور كبير في تنشيط حركة الاستيطان في سهل متيجة إذ جعل منها وطن حقيقا للمهاجرين الأوروبيين الوافدين.³

عند فشل سياسة كلوز يل التي كانت تشير لتحويل الجزائر لجزء من الأراضي المستعمر بشكل دائم عبر جذب المستوطنين، قررت الإدارة الاستعمارية تبني نهج الاستيطان الرسمي تحت إشراف دولة مباشرة هذا كان جزء من خطة بيجو* الذي كان حاكما عاما على الجزائر في هذه الفترة والذي كان يرى بأن الاستقرار السكاني هو العنصر الأساسي لجعل الغزو ناجح ومستمر.⁴

¹ - صالح عباد، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930، ديوان المطبوعات الجامعة، قسنطينة، ص 2.

² - كلوز يل: ولد عام 1772، تقلد منصب القائد العام في الجزائر 1830، ثم راقى إلى رتبة ماريشال في العام الموالي، تولى قيادة الجيش الفرنسي 1835، وارتكب خلال تلك الفترة فضائع مروعة. تكبد الهزيمة في المعركة الأولى لمدينة قسنطينة سنة 1836، توفي سنة 1862 ومن أشهر أقواله التي تعكس تناقض سياسته "يجب إدخال الحضارة إلى الجزائر بوسائل غير حضارية: يُنظر بطاش علي، الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830-1900، ص 157

³ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 197.

* بيجو: أحد أبرز القادة العسكريين الفرنسيين، ولد في مدينة ليموج، حمل رتبة ماريشال فرنسا. دعي من قبل حكومة لويس فليب للالتحاق بمجلس النواب، ثم تولى مهامه 2-العسكرية في الجزائر في جوان 1833، حيث قاد حملة شرسة ضد المقاومة. حقق أولى انتصاراته في واد السكاك، اشتهر بتطبيقه "سياسة الأرض المحروقة"، وجعلها رمزا للقمع الاستعماري للجزائر. يُنظر: بطاش علي، الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830-1900، ص 160.

⁴ - بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص 108.

انتهج "بيجو" سياسة مزدوجة قائمة على أساس "السيف والمحراث" فالسيف كوسيلة لقمع السكان، أما المحراث فكان أداة في يد المستعمر لترسيخ وجوده. وقد تضافرت الجهود بين الجيش وحركة الاستيطان من خلال إنشاء قرى جديدة، وتشجيع الوحدات العسكرية الفرنسية على استغلال الأراضي القريبة من معسكراتهم في الزراعة، فمنحت الإدارة الاستعمارية أغلب الأراضي التي استولت عليها للجنود المستوطنين كما حفزتهم على الزواج من فرنسيات يتيمات مع توفير المسكن ووسائل الزراعة والدعم المادي من المال وحبوب وغيرها في سبيل ترسيخ الوجود الاستعماري ولم يكتفي الجنرال بيجو بمنح المستوطنين المساحات الواسعة من الأراضي بل عمد على إصدار قوانين جديد يمنح الدولة الحق في مصادرة أراضي القبائل التي ساند الأمير عبد القادر الجزائري وشاركت في مقاومة الأمير الاحتلال الفرنسي وقد أسفرت هذه السياسة على نزع أراضي ملكية مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية تجاوزت 500 ألف هكتار بهدف تعزيز مصالح المستوطنين وترسيخ وجودهم في البلاد.¹

أ- الاستيطان العسكري في ظل الجمهورية الثانية 1848-1852

بعد الإطاحة بلويس فليب* وقيام الجمهورية الثانية في أوائل عام 1848 صدر قرار يقضي باعتبار الجزائر جزءاً لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية وقد ترتب عن هذا القرار تقسيم الجزائر إلى منطقتين رئيسيتين: الجزائر الشمالية التي خضعت لإدارة مدنية (الإدارة المدنية) وقسمت إلى ثلاث مقاطعات والجزائر الجنوبية التي وضعت تحت السيطرة العسكرية وأُنيطت إدارتها بضباط المكاتب العربية² ومع، تأسيس الجمهورية الثانية في فرنسا عام 1848 بدأت السلطات في باريس بإتباع سياسة تحفيزية لاستقطاب المعارض وخاصة من الطبقات العمالية، إلى قبول الحكم العسكري وذلك من خلال تقديم

¹ - سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق ص 294.

* **لويس فليب**: ملك فرنسا من 1830-1848، ولد في باريس ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية. شارك في الثورة الفرنسية 1789 كضابط، وأصبح من أبرز الليبراليين المعارضين للحكم المطلق. تولى العرش بعد ثورة 1830 بدعم من القوى الليبرالية حكم فرنسا بنظام ملكي دستوري حتى أطيح به في ثورة 1830: أنظر بسام العسلي، جهاد الشعب الجزائري، ج 1، دار العزة والكرامة، الجزائر، 2009، ص 253.

² - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 13.

وعود بالهجرة إلى الجزائر مع منح امتيازات مغرية¹ وبهذا النهج يتضح أن الجمهورية الثانية أوكلت اهتماما كبيرا بتشجيع الاستيطان الأوربي بالجزائر وتعزيز مشروع التهجير المنظم.²

ب- الاستيطان العسكري في ظل الإمبراطورية الثانية 1852-1870

بعد انهيار الجمهورية الفرنسية الثانية وتأسيس الإمبراطورية بقيادة نابليون الثالث* في مطلع سنة 1852، شهدت حركة الاستيطان في الجزائر توسعا ملحوظا، خصوصا خلال فترة حكم القيادات العسكرية. ويعد جاك لويس راندون* ومن أبرز هؤلاء، حيث أنشأ ما يقارب 556 قرية استيطانية بين عامي 1853-1858، معتمدا في ذلك على سياسة مصادرة الأراضي وفتحها أمام المستوطنين الفرنسيين على حساب أراضي القبائل المحلية. لكن غيرت الإمبراطورية توجهها في السياسة الاستيطانية على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، حيث خفضت من وتيرة الهجرة الأوروبية إلى الجزائر مستلهمة بذلك النهج البريطاني القائم على منح صكوك الملكية بدلا من الاعتماد على الزراعة المباشرة أو تقديم فعلي للمزارعين المستوطنين. وقد جاء هذا التحول نتيجة إخفاء السياسات السابقة، في محاولة نابليون لمعالجة الأخطاء ارتكبت في الماضي.

وقد أحدثت سياسة نابليون الثالث تحولا جذريا، تمثل في إقصاء الفلاحين الجزائريين من أراضيهم وتجريدتهم من الملكية الفردية. وفي المقابل تسارعت وتيرة الاستيطان الأوروبي، حيث ارتفع عدد المهاجرين الأوروبيين بشكل ملحوظ منذ عام 1858³، إذ بلغ عددهم في تلك السنة 520 مهاجرا بنسبة نمو تقدر بـ 14.7%. وخلال هذه الفترة تم تأسيس مؤسسات زراعية كبرى تولت مهمة إنشاء القرى

¹ - الغالي غربي، العدوان الفرنسي على الجزائر خلفيات وأبعاد، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 169.

² - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1889، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، ص 67.

* نابليون الثالث: ولد سنة 1864-1949 وهو فرنسي أراد يجعل الجزائر مملكة عربية وقد توسعت الإمبراطورية الفرنسية في عهده، ينظر: بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الفترة 1830-1962، ج 2، المرجع السابق، ص 504.

* - جاك لويس راندون: ولد بتاريخ 1795/03/27 عينه نابليون الثالث كحليفة للجنرال هوبتل ليصبح فيما بعد حاكما على الجزائر 1857، ينظر: إلى بن داهة عدة، ج 1 المرجع السابق، ص 495.

³ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 19

الاستيطانية وجلب العديد من الشركات الاحتكارية مثل شركة جنيف السويسرية التي ساهمت بدورها في توطين نحو 500 عائلة سويسرية في الجزائر.¹

2- الاستيطان في العهد المدني 1870-1962.

واصلت الجمهورية مسيرة الاستيطان، ووجد المعمرين فيها الفرصة الذهبية لتحقيق طموحاتهم المتمثلة في استيلائهم على الجزائر من القوانين الفرنسية كتلك المعمول بها في فرنسا، واستفادتهم من قوانين تجنيس كل المعمرين، وحتى بالجنسية الفرنسية. وفي عهدها انتقلت السلطة في الجزائر من يد العسكريين إلى أيدي المعمرين، وبذلك استفاد المعمرين من السياسة التي انتهجتها هذه الجمهورية المتمثلة في التوسع العسكري وإدماج الجزائر وإحاقها، أي تصبح الجزائر مقاطعة فرنسية يستفيد فيها المعمرين من حق المواطنة الفرنسيين. ومن جهة أخرى أعطتهم استقلالاً ذاتياً وحرية التصرف في شؤون الجزائر كما استفادوا من القوانين التي شرعتها لهم، والظروف التي وفرتها لهم.²

ثم تصاعد التوتر بين المدنيين والعسكريين حيث رأى المدنيون أن المكاتب العربية شكت عائقا أمام تحقيق طموحاتهم في الاستيلاء على أراضي الجزائريين فسعوا إلى تحطيمها. في المقابل اعتبر العسكريون أنفسهم الضمان الوحيد للأمن، رافضين أي شكل من أشكال الرقابة على سلطتهم. وفي خضم هذا الصراع بدأ كل طرف يسعى للعثور على خصمه ومواجهته.³

وضع المستوطنون الأوروبيون في الجزائر برنامجا سياسيا مكثفا يهدف إلى تعزيز نفوذهم وترسيخ وجودهم من خلال إقامة نظام سياسي يخدم مصالحهم بشكل دائم. وقد لعب الدكتور أورغيستو ورنير دورا محوريا في هذا المخطط، حيث كان يعد القائد الفعلي والمتحدث الرسمي باسمهم خلال فترة حكم نابليون الثالث. وقد برز هذا الدكتور كصاحب الفكرة المحورية التي بنيت عليها سياسة الاستيطان

¹ - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994، ص9.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص25-28.

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص63.

في الجزائر، والتي عرفت بنظرية الإدماج التدريجي للجزائريين. فقد اعتبر أن التعايش بين مجتمعين متباينين -المجتمع الجزائري- أمر غير ممكن إلا من خلال العمل على تطوير وتهذيب أبناء المجتمع الجزائري المحلي تدريجياً، ليقتربوا من النموذج الأوروبي في السلوك والثقافة¹. وتمثلت خطة المستوطنين الأوروبيين التي وضعها الطبيب فيما يلي:

- إقامة حكم مدني.

- إعلان التل منطقة مدنية يحكمها الولاية ورؤساء البلديات.

- تمتع المستوطنين الأوروبيين بحق التمثيل السياسي في البرلمان الفرنسي.

- عدم الاعتراف بأراضي الأعراس وإقامة نظام الملكية².

أ- سياسة المستوطنين في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة:

- التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي.

- إقامة مؤسسات مدنية تخدم مصالح المستوطنين الأوروبيين المقيمين في الجزائر³.

- نقل السلطة من عند العسكريين إلى عند المدنيين وذلك في إطار الحكم الذاتي.

- تحطيم البرجوازية الفرنسية وخاصة الشخصيات الجزائرية المتعاونة مع السلطات العسكرية.

- مصادرة الكثير من الأراضي، وفرض غرامات باهظة على آل المقراني والحداد، وكذلك التشجيع على

الاستيطان.

¹ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 152

² نفسه، ص 153.

³ - نفسه، ص 161

ب_ القوانين التي صدرت خلال الجمهورية الثالثة 1870-1900:

➤ **قانون كريميو* 24 أكتوبر 1870:** صدر مرسوم كريميو الذي منح الجنسية الفرنسية لليهود في الجزائر بشكل جماعي ، دون أخذ رأيهم ومنحهم حرية الاختيار ، تضمن المرسوم تغييرات في البنية السياسية من بينها إدخال نضام المحلفين في القضاء.¹

➤ **قانون واري 26 جويلية 1873:** أدخل قانون واري عدة تغييرات جوهرية وذلك إسنادا إلى قانون أبريل لعام 1887، الذي أتاح للأوروبيين التوسع داخل أراضي العرش، كما مكن الدولة من الاستيلاء على الأراضي التي حصلت عليها بموجب تقارير لجان التحقيق. وبفضل هذا القانون، منحت الدولة رسميا حق انتزاع ما يقارب 1159605 هكتارا، ليصل مجموع الأراضي المنزوعة إلى أكثر من 200 ألف هكتار.²

➤ **قانون الاستقلال المالي 19 ديسمبر 1900:** في عام 1900، منحت الجزائر ميزانية خاصة تعرف بالاستقلال المالي الذاتي. ففي 22 ماي، تقدمت الحكومة الفرنسية بهدف إلى إنشاء ميزانية مستقلة للجزائر، وقد صادق عليه البرلمان الفرنسي في 19 ديسمبر من نفس العام.³ منح هذا القانون الجزائر صلاحية إدارة شؤونها المالية والاقتصادية والاجتماعية بشكل مستقل، مما شكل خطوة نحو الحكم الذاتي في هذا الجانب.⁴

* **أدولف كريميو:** اسمه إسحاق موشي كريميو 1796-1880، محامي وسياسي يهودي. شغل منصب وزير العدل مرتين، انتخب نائبا عدة مرات، آخرها عن مدينة الجزائر عام 1870. تولى لفترة قصيرة إدارة شؤون الجزائر خلال حكومة الدفاع الوطني 1870-1871.

¹ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007، ص134.

² - ايف لاكوست، أندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة رايح اسطنبولي وآخرون، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، ص365.

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص156.

⁴ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص230.

المبحث الثالث: آليات السياسة الاستيطانية في تثبيت الوجود الأوروبي في الجزائر

اتخذ الاستعمار آليات من أجل إنجاح الاستيطان وكان لابد من اغتصاب أراضي الجزائريين وممتلكاتهم، ويتحقق ذلك من خلال إفراغ البلاد من أهلها عن طريق إبادةهم، وتهجيرهم، أو تحويلهم إلى عبيد، وسن تشريعات تنتزع من خلالها ممتلكاتهم ونقلها إلى معمرين وذلك من خلال:

1. الإبادة:

اقتنعت إدارة الاحتلال بأن نجاح الاستيطان يستلزم إخماد الثورات، وتوفير الأراضي وذلك من خلال إبادة الشعب الجزائري، واقتنع بهذا الطرح حكام الجزائر، ضباط الاستعمار منذ بدايته، ففي السنوات الأولى من الاحتلال أكد وزير الحربية فرنسا " جيار " بأنه لا يمكن السيطرة على الجزائر الأمن خلال تهجير الجزائريين لابد من إبادةهم وتدمير قراهم ومزارعهم، كما اقتنع بهذا الطرح بصفه كبيرة "المارشال بيجو" الذي اعترف بأن تهيئة المساحات للمستوطنين تتطلب تدمير قرى وحرق مزارع وتجريد الجزائريين من منازل عيشهم والقضاء على الجزائريين بصفة رسمية، ومن أجل تحقيق ذلك المراد غير إنساني مارس الاستعمار حملة الإبادة، وقد عبر لامارتين أمام مجلس النواب قائلاً " أستحي أن اذكر كلمة إبادة لكن هذا هو الأسلوب الذي استعملته إدارتنا في الجزائر، والحقيقة الظاهرة الاستيطانية الفرنسية التي طبقت في الجزائر هي شبيهة لنموذج الأمريكي الذي سحق الهنود الحمر من قبل الأوروبيين"¹.

فمن أجل إفراغ الجزائر من سكانها انتهجت الإدارة الاستعمارية حرب الإبادة وسياسة الأرض المحروقة، وكما أتخذ القادة العسكريون شعار الجزائريين الذي لم يكن لهم خيار سوى الموت أو الهجرة أو خدمة أسيادهم وكانت اعترافات الضباط والجنود الذين شاركوا في حرب الإبادة رهية، فهم اقروا

بأنهم ابادوا قبائل حيث قاموا بحرق المزارع وتدمير القرى بأكملها واختطاف النساء والأطفال وإرسالهم إلى فرنسا فلم تكتفي الإبادة على الإنسان فقط بل الحيوان والنبات¹.

بالإضافة إلى الإبادة المتعمدة، تسبب الاستعمار في تدهور أوضاع الجزائريين، فتركهم للمجاعات والفقر والأوبئة القاتلة وذلك من أجل المساعدة على إبادتهم والسيطرة على الجزائريين وأراضيهم بكل سهولة². كما أن الشعب الجزائري تعرض إلى إبادة حقيقية من طرف الوجود الاستعماري، ولم يكن نظام الحكم العسكري وحده هو المسؤول عنها ما بين (1830 - 1870) بل أيضا نظام الحكم المدني هو الآخر قد ساهم في إبادة الجزائريين وتدمير قراهم والاستيلاء على أراضيهم، فطريقة التي طبقتها إدارة الاحتلال الفرنسي في إبادة الشعب الجزائري³ لما كان دروفيقو مشبعا بروح الانتقام والقتال فجاء بأكثر من 16 ألف جندي وذلك من أجل القضاء على حركة المقاومة الشعبية فاستعمل سياسة المكر والعنف والبطش فقام بحرق وتدمير وذبح وسفك الجزائريين⁴، بالإضافة إلى أن الطريقة الأنسب التي كانت تراها سلطة الاحتلال في تثبيت الأوروبيين بالجزائر وتمكين الاستيلاء عليها والسيطرة لا يتم الأمر خلال تدمير جزائريين، وهذا التدمير يبقى بالإبادة فقط⁵.

وعملت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بواي يوم 5 ماي 1931 بحرق أكواخ رأس العين بوهران⁶، بينما قامت القوات الفرنسية التي كانت بقيادة الجنرال ديمشيال بالاعتداء على قبيلة الزمالة

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 108.

² - سعيد بوزيان، رواد شخصيات بارزة في كفاح الجزائر المقاومة الوطنية في القرن 19، دار الأمل للطباعة والنشر، ط2، 2004، ص 24-30.

³ - عثمان زغب، "إبادة الجزائريين خلال الاحتلال الفرنسي بين الأفعال المعزولة الاستراتيجية"، مجلة البحوث ودراسات، م 10، ع 16، جامعة الشهيد حملة لخضر بالوادي، الجزائر، صيف 2013، ص 318.

⁴ - عيساوي محمد، شريخي نبيل، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871، مؤسسة كنوز الحكمة، 2011، ص 44.

⁵ Desjobert, **Algérie, Guillaumin libraire**, éditeur, paris, 1846, p16 .

⁶ Derrien , **Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours**, éd, Niot, Paris, 1886, p33.

بالقرب من منطقة ظفراوي، حيث أصبح الجنود الفرنسيين يدفعون أمامهم النساء والأطفال والأغنام، وكانت غاية الاحتلال الفرنسي من هذه العمليات هي ترويب الشعب الجزائري والعمل على إخضاعه لسلطة الاحتلال الفرنسي¹.

ارتبطت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر في إراقة وسفك الدماء ومحاولة الإبادة الجماعية، فقد اتخذ الضباط الفرنسيون من القمع والقتل الشعب الجزائري، مستهدفين بذلك وجوده المادي والمعنوي، والقضاء على شخصيته الوطنية وطمس قيمته الحضارية والتاريخية، في إطار سياسة استعمارية تهدف إلى تحويل الجزائر إلى مجرد امتداد للكيان الفرنسي، بالإضافة إلى سياسة الإبادة التي انتهجها المحتلون في الجزائر إحدى السمات البارزة التي ميزت الاحتلال الفرنسي طوال فترة الاستعمار، فكلما توغلت الجيوش الفرنسية في أعماق البلاد، إلا وارتكبت مجازر وجرائم في أوساط القبائل الريفية، حيث لم تكن هذه العمليات العسكرية مجرد معارك تقليدية، بل كانت تركز على الإبادة والقمع الشامل، وقد اشتدت وتيرة هذه الجرائم خلال الفترات التي تركز فيها الجيش الفرنسي بكثافة في المناطق، مما خلف آثار مدمرة على البنية السكانية والاجتماعية للجزائر.²

عندما شعرت القبائل والمدن المجاورة بالخطر الذي بات يهدد أرواحهم وأراضيهم فقرروا مقاومته والتصدي له بقوة السلاح، وذلك في الاجتماع العام الذي عقده سكان منطقة متيجة في قلعة تمنفوست³.

لم تتوقف عملية الإبادة التي لحقت بالجزائريين من مذابح وقتل وجماعي، بل لجأ ييجو وجيوشه إلى وسائل أخرى بالإبادة للجزائريين، والتي تمثلت هذه المرة في محاصرة الجزائريين داخل مغارات تحت الأرض، ومنعهم من الخروج حتى الاختناق، كما كان كافيينياك أول من طبق هذه الطريقة، حيث

¹ - عبد القادر سلاماني، "سياسة الأرض المحروقة وآثارها على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر 1830-1847"، م7، ع3، جامعه طاهري محمد، بشار، الجزائر، 2018، ص122.

² - أزرق شويتام، المرجع السابق، ص195.

³ - جمال قنان، معالم الكفاح الوطني ضد الاحتلال الفرنسي 1830-1954، المنطقة الوطنية للمجاهدين لولاية الجزائر العاصمة، الجزائر، 2003، ص14.

اعترف بجريمته في إبادة قبيلة بني صبيح عام 1844م، بقوله " لقد تولى الجنود بجمع كميات هائلة من الحطب بأنواعه ثم كدسوها عند مدخل المغارة التي حملنا قبيلة بني صبيح على اللجوء إليها بكل ما يملكون من متاع وحيوانات، وعند حلول المساء، أشعلت النيران واتخذت الاحتياطات اللازمة حتى لا يتمكن أيا كان من الخروج حيا، ولم تتوقف الجريمة عند هذا الحد، فبعد قرابة عام قام العقيد كانروبا بجمع من تبقى من أفراد القبيلة ممن نجوا وكانوا خارج أراضيها، ثم ساقها إلى مغارة أخرى، وأصدر أوامره ببناء جميع مخارجها.¹

كما تجمعت القوات الفرنسية بـ "كدية المائدة" المقابلة لبلدة الزعاطشة يوم 7 أكتوبر 1849م، على الساعة الثامنة صباحاً، وقدر عدد الجنود بأربعة آلاف وأربع مائة وثلاثة وتسعين جندياً، والجدير بالإشارة إلى أن واحة الزعاطشة كانت محاطة بسور ضخيم يهدف إلى حمايتها من الغارات التي قد يستخدمها الأعداء، وقد تميزت بوجود عينين جارتين إحداهما تعرف بعين معكوف، والأخرى بعين الفوار، كما يحيط بجميع المساكن خندق واسع في حين ساهم في تقارب البيوت من بعضها البعض في تسهيل التنقل عبر الأسطح، وزادت النوافذ الصغيرة المتصلة بين المنازل التي تسمح بالتنقل من حين لآخر دون الظهور أمام الأنظار، كما بدأت العمليات العسكرية باحتلال موقع التقاء الطرق والذي يربط الزعاطشة وتمنع سكان الواحة من منح أي مساعدة لجيرانهم، ثم أعطيت الأوامر للمدفعية بأن تقصف أسوار البساتين المحيطة بالزاوية لأحداث ثغرة فيها، وبعد ما قامت السلطات الفرنسية بهدم بعض حيطان السور هجمت على الزاوية، لكن رغم المقاومة من طرف الجزائريين إلى أنهم تم القبض والاحتلال على الزاوية، غير أن الشيخ بوزيان استطاع أن ينفذ من الحصار ويرسل مساعدة من جميع الاعراش.²

¹ - شريخي عيساوي، المرجع السابق، ص 47.

² - مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 68.

طلب الجنرال هيربيون بدوره النجدة من السلطات الفرنسية والتي وصلته من قسنطينة وباتنة وبسعادة وسكيكدة وعنابة وجدد الهجوم عليهم بقوة تحت مجموعة من ضباط، وقد قدرت قواتهم بأكثر من 800 رجل، فضلا عن عتادهم الضخم وأسلحتهم ومدافعهم، إن الحصار الذي ضرب على الزعاطشة منذ أوائل أكتوبر قد استمر إلى يوم 28 نوفمبر 1849م، وهو تاريخ الهجوم الأخير الذي أعطيت فيه تعليمات صارمة عن إبادة جم الواحة وقتل جميع الأحياء بما فيها الأطفال والنساء والشيوخ وقطع كل الأشجار بما فيها النخيل الذي يعد هو مصدر رزق السكان، وتخريب كل المنازل وحرقتها، ورغم كل هذه الإبادة إلا أن أفراد الزعاطشة لم يطلبوا صمد السكان، أي رفع العالم الأبيض للاستسلام، بل اشتبك الثوار مع الجيش الفرنسي بالسلاح الأبيض من حي إلى حي ومن المنزل إلى منزل، حتى امتلأت الشوارع بالجثث والقتل¹.

وتعد بلاد القبائل آخر المناطق التي دخلت تحت الاحتلال الفرنسي شمال الجزائر، حيث حظيت باهتمام القادة الفرنسيين الذين اقترحوا احتلالها، وفي بداية عام 1851م، شن سانت أرنو غارات إبادة على القبائل الصغرى حيث تم قتل جميع من اعتصم بهم واحرقوا قرى بني ميمون وأولاد عسكر وغيرها كما خربوا أكثر من 50 قرية محفوفة بالمزارع والبساتين، وقد شهدت الفترة ما بين 1851م و1854م مقاومة شعبية بارزة، ضد الاحتلال الفرنسي في منطقة القبائل في الجزائر وهذه المقاومة من أبرز المقاومات الشعبية².

2- التجويع والتهجير:

بما أن السياسة الاستيطانية كانت تقضي إلغاء الوجود الجزائري عملت السلطات الاحتلال بالإضافة إلى إبادة الجزائريين على تفجير وتهجير الذين نجوا من الاحتلال الاجتماعي والاقتصادي الناجم عن تدمير قرى ومنازل الجزائريين، وحرقت مزارعهم وانتزع أراضيهم وجعلهم يعيشون في بؤس وفقر، بالإضافة إلى الموت الذي كان يدور حولهم في كل لحظة، وكل هذه الأساليب التي مارستها الإدارة

¹ - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 69.

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 55.

الاستعمارية على الجزائريين إلا أن أجبرتهم بالهجرة إلى بلاد المشرق العربي وأوروبا، وهو ما مكن الإدارة الاستعمارية من تحويل أراضيهم وممتلكاتهم لصالح المعمرين الذين أقاموا عليها مستوطنات ومزارع¹.

وبهذا فإن حالة البؤس الذي أصبح يعيشه الجزائريون، وانتشار الأمراض الفتاكة، وضياع ثروتهم جعلهم ينزاحون إلى المناطق الجبلية والصحراوية، أو الهجرة إلى الخارج فأراضيهم كانت مصدر رزقهم وعيشهم، حيث حرموا منها ومن الوظائف وبالتالي كان مصيرهم المحتوم الموت أو الهجرة من أراضيهم، وطردهم إلى الجبال والصحاري، أو حتى إلى خارج الوطن لإخلاء المكان للمعمرين وإحداث اختلال في التوازن السكاني لصالح المستوطنين من خلال رفع عددهم، وفتح باب الهجرة لهم مقابل تخفيض عدد الجزائريين، ومع مطلع القرن العشرين أرتفع عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا، وخاصة العمال منهم، وإلى بلدان المشرق تحت تأثير عنصر الطرد، الذي تجلّى في سياسة الاستعمار المتمثلة في إبادة الجزائريين وتجريد الأهالي من أراضيهم وتفقرهم من ممتلكاتهم وهذا ما دفعهم إلى الهجرة، والبحث عن ظروف أحسن، وعن لقمة عيشهم، والنجاة بأرواحهم ودينهم².

بالإضافة إلى سياسة التهجير التي طبقها السلطات الاحتلال اتبعت سياسة النفي القسري، فنفت أعداد هائلة من الجزائريين على إثر المقاومات الشعبية إلى كاليدونيا، وجزر الماركييز وغيرها، كما ساهم التجنيد الإجباري، وتسخير اليد الجزائرية في الاقتصاد الفرنسي والمجهود الحربي بشكل كبير خلال الحربين العالميتين في إحداث نزيف سكاني، وتفاقم الهجرة الطوعية والقسرية³، كما أن إيطاليين استوطنوا في إقليم الشرقي في الجزائر، بينما الأسبانيون وإعدادهم استوطنوا في إقليم الغربي من الجزائر⁴، كم استقبلت بلاد الشام بين 1871م - 1900م عددا مهما من العائلات المهاجرة من مختلف المناطق،

¹ - عميراي أميدة، آثار السياسة الاستعمارية الاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1962، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 50-51.

² - محمد العربي ولد خليفة، الاحتلال الاستيطاني للجزائر، مقارنة التاريخ الاجتماعي والثقافي، دار تالة، الجزائر، 2005، ص 59-60.

³ - عبد الملك خلف التميمي، المرجع السابق، ص 30، ص 32.

⁴ - جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 253.

إذا احلوا عند إخوانهم المهاجرين الجزائريين الذين سبقوهم حيث قاموا بإعطائهم الأراضي وتقدم المساعدات بتأسيس قرى لهم كما وجدوا فيهم الأمن والأمان.¹

كما بدأت الهجرة الجزائرية بالاتجاه إلى العالم الإسلامي مع نهاية القرن 19 وذلك يعتبر أن البلدان الإسلامية هي أهم واجهة للجزائريين وذلك من خلال الملائمة الدينية والثقافية واحتضانها لأهم الأماكن الإسلامية، وقبل سقوط الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي، كانت الهجرة الجزائرية من أجل أداء فريضة الحج أو طلب العلم في مناطق مختلفة، ولكن بعد الاحتلال أخذت صيغة مغايرة بشكل كبير، حيث أصبحت الهجرة وسيلة للهرب من القمع والاستعمار، ولم تعد تقتصر على الحج أو العلم بل تحولت إلى محاولة للنجاة من الظروف القاسية التي فرضها عليها الاحتلال الفرنسي، وهذا ما جعل العديد من الجزائريين يهاجرون إلى مناطق أخرى بحثا عن فرص أفضل، أو الالتحاق بالحركة الوطنية² بالإضافة إلى هجرة الجزائريين إلى المغرب الأقصى بعد سقوط الجزائر في يده الاحتلال الفرنسي، حيث تعتبر فاس ومراكش وطنجة الأكثر استقطابا للجزائريين، كما عرف المغرب توافد ضخم من المهاجرين الجزائريين والعشائر، وهذا ما دفع بالإدارة الفرنسية الاستعمارية أن توجه الاتهام إلى الطريقة الدرقاوية وبوعمامة.³

كما تعد هجرة الجزائريين إلى تونس منذ العصور التي سبقت الاستعمار الفرنسي لكنها جهد كبيراً بعد سنة 1830م، وذلك نتيجة الخوف من الثأر والقمع السياسي الذي مارسه الإدارة الفرنسية خاصة بعد فشل أعمال المقاومة الوطنية في الجزائر، ومع مرور الوقت تواصلت موجات كبيرة من النزوح

¹ - الخالدي سهيل، صفحات من النظام المشترك ضد الاحتلال الجزائر أولاد الشام، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013، ص152-153.

² - عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918، دار هومة، الجزائر، 2012، ص12.

³ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، م2، ترجم بالمعهد العربي العالمي للترجمة، شركة الأمة الجزائر، 2008، ص762.

نحو الأراضي التونسية، حتى بلغ عدد المهاجرين الجزائريين حوالي 1600 مهاجر، مما يعكس حجم المعاناة والضغط التي دفعتهم للرحيل¹.

تعددت العوامل والدوافع التي ساهمت في تفاقم ظاهرة الهجرة في أوساط السكان الجزائريين فكانت الهجرة متنوعة عبر مختلف البلدان المجاورة، حيث أن أسباب الهجرة كانت تتعلق بالأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى النفسية التي عاشها الجزائريين جراء السياسة الاستعمارية التي طبقتها في الجزائر منذ بداية الاحتلال إلى غاية بؤادر الحرب العالمية الثانية²، كما اقتضى المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر تهجير أعداد كبيرة من السكان من فرنسا ومن مختلف أنحاء أوروبا إلى الجزائر، قصد تثبيت الوجود الاستعماري وتعزيزه في الجزائر، حيث سعت الإدارة الفرنسية إلى جذب المستوطنين ومنحهم امتيازات واسعة، مما ساهم في تعزيز ارتباطهم بالاحتلال الفرنسي في هذا البلد³.

بعد سقوط ملكية لويس فيليب وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية مطلع القرن 1848م إلى 1852م، اهتمت الجمهورية الثانية بأمر التهجير والاستيطان الأوروبي فوضعت خطة التهجير 200,000 أوروبي إلى الجزائر في غضون 10 سنوات من المشاغبين والثائرين وذوي السوابق⁴ فهجرت من باريس وحدها حوالي 15 ألف شخص، واستوطنوا في 42 قرية استيطانية، كما أقامت وحدة جمركية بين الجزائر وفرنسا لخدمة اقتصادهم ومصالحهم⁵.

¹ - نادية طرشون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال، منشورات المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة، 2007، ص 267-268.

² - رشيد زوزو، الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، دولة في علم اجتماع التنمية، جامعة قسنطينة، 2008، ص 67-68.

³ - بن داهة عدة، المرجع السابق، ص 34.

⁴ - يحي بوعزيز، سياسة الاستعمارية والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985، ص 13.

⁵ - صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي في الجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1871، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 142.

تنوعت أشكال سياسة تجويع في الجزائريين، بسبب ربط الاقتصاد الجزائري بالاقتصاد الفرنسي، إذ شجعت إدارة الاحتلال على الزراعة التجارية منذ 1881م إلى غاية 1962م وذلك على حساب الزراعة المعيشية للسكان، فقامت بتحويل مزارع الحبوب إلى مزارع العنب، وقدرت المساحة المحولة آنذاك بـ 450,000 هكتار من أخصب الأراضي¹ ففي الوقت الذي حققت فيه زراعة المستوطنين إنتاجا كبيرا، عاش الجزائريون مجاعة رهيبة، نتيجة تدهور الإنتاج الزراعي، وانخفاض عدد رؤوس الماشية نتيجة توسيع الزراعة الأوروبية على حساب أراضي الجزائريين، إذ بلغ عدد رؤوس الماشية حوالي 6.3 مليون رأس.²

ومنذ الثلاثينات شجعت الإدارة الفرنسية في الجزائر المهاجرين الراغبين في العيش في الجزائر على شراء أراضيهم بأسعار مغرية لا يتعدى سعر الهكتار الواحد 47 فرنكا بالنسبة للمناطق الداخلية بينما المناطق الريفية فقد خفضت سعرها إلى 38 فرنكا، وهذا دليل على الطموح الكبير لتهجير أكبر عدد من المستوطنين ولتحقيق هذا الجانب في توسيع دائرة الاستيطان صرح بيجو بأنه يريد الحصول على أراضي الجزائريين الخصبه كلها.³

وبفضل الامتيازات التي قدمها الجنرال بيجو فقد نجح في جذب أعداد كبيرة من المهاجرين الأوروبيين إلى الجزائر مما أدى إلى إنشاء حوالي 35 قرية استيطانية وارتفاع عدد المهاجرين الأوروبيين حيث وصل إلى 46180 شخصا، كم اخترع أساليب جديدة لنزع ملكيات المسلمين الجزائريين⁴، وبسبب الحرب الفرنسية الروسية شجع الاستيطان الأوروبي انضمام الأكراس والورين إلى الجزائر وأمام هذه النتيجة قامت الإدارة الفرنسية بتهجير عائلات كثيرة منهم، حيث قدمت لهم أراضي مجانية مقابل

¹ - عمار بوحوش، العمال الجزائريين في فرنسا، الشركة الوطنية للجزائر، ط2، 1979، ص131.

² - ناصر الدين سعيدوني، منطلقات آفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص41.

³ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة عبد العزيز بوباكير، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005، ص47.

⁴ - الاستعمارية من خلال المطبوعات حزب الشعب الجزائري، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص9.

الإقامة الجبرية بها، إلا أنهم لم يستقر منهم إلا سوى 387 عائلة من ضمن 1118 عائلة مهاجرة في سنة 1847م.¹

نتج عن هذه السياسة الاستعمارية الاستيطانية فقدان الجزائريين لأراضيهم وحيواناتهم، وعزلهم مناطق الإنتاج الفلاحي، والاقتصادي بصفة عامة، فتحولوا إلى طبقة محرومة، وزادهم الحيف السياسي تدمرا، ولم يكن هناك من مخرج سوى الثورة كوسيلة للخلاص وهو ما حصل فعلا عام 1871م.

¹ - عطاء الله فشار، النخبة الجزائرية جذورها تطورها اتجاهاتها 1914-1954، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة الجزائر، بن يوسف بن خدة، 2009، ص30.

المبحث الرابع: أهداف العلمية الاستيطانية في الجزائر.

يعتبر الاستيطان العامل الأساسي للاستعمار الفرنسي، لذلك تم ربطه بالمصلحة العليا لفرنسا، ففرنسا مصلحة كبرى بالجزائر، واعتبرتها الحل الوحيد لمشاكلها اللامتناهية التي كانت تعاني منها فرنسا، سواء السكان الذين قدموا من أوروبا أو المستوطنين الذين يشكلون قوة اقتصادية وبشرية في سياسة الاستيطان، التي هي هدف استراتيجي في سياسة فرنسا حيث قامت بتوفير كل رغبات المستوطنين بهدف نجاح سياستها في هذا الميدان، إلا أن هذه السياسة كانت أبعد عن ذلك فقد كانت تهدف إلى سلب ونهب خيرات والهوية الوطنية¹.

كما يمكن تصنيف الأهداف التي أدت إلى هجرة مستوطنين من أوروبا إلى ثلاث أصناف، والتي تمثلت في أهداف دينية طائفية، وأهداف اقتصادية، أخرى بشرية مرتبطة بالرسالة التحضيرية، وقد صنفنا هذه الأهداف كالتالي في مجموعة من النقاط:²

1. أهداف اجتماعية:

ساهمت السلطة الاستعمارية في تنفيذ جزء من مخططاتها من خلال مشروعها الاستيطاني، حيث اندفع المستوطنون إلى الجزائر محملين بتلك الأفكار الاستعمارية. وقد شرع الأوربيون في التوسع والانتشار داخل البلاد بهدف السيطرة التامة عليها، واستبدال سكانها الأصليين بمستوطنين أوروبيين. فالاستيطان لم يكن عبثا، بل كان وسيلة لتحقيق أهداف محددة ضمن مشروع استعماري متكامل للاستيطان أهدافا وأغراضا نذكر منها:

- إبعاد السكان الأصليين من أراضيهم والاستيلاء عليها وجعلها تابعة لفرنسا.³

¹ - خلف التميمي، المرجع السابق، ص 25.

² - شوقي الجمل، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971، ص 130.

³ - الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، 2004، ص 160.

- تأمين النهب الاستعماري والتوسع فيه بتحميل المستوطنين قسما من أعباء الدفاع.¹
- تدمير الصمود المعنوي لشعب الجزائر.
- استخدام الاستيطان كأداة لتتخلص من العمال الثائرين والعاطلين والمجرمين والخارجين عن القانون في فرنسا سنة 1848.
- اتساع الفجوة الاجتماعية بين المستوطنين والجزائريين تخلق طبقتين مختلفتين إقطاعيين، رجال أعمال وخماسين مزارعين، الشعب والجزائري، كما عمل استيطان على تدعيم التواجد العسكري بمستوطنين مدنيين أوروبيين.
- تعظيم الهجرة الأوروبية من أجل اختلاط ودمج بين الأجناس البشرية.²
- اجتثاث السكان الأصليين من أراضيهم والاستيلاء عليها.³

2- الأهداف الاقتصادية:

شهد المجتمع الجزائري خلال حقبة الاحتلال الفرنسي للجزائر انهيارا اقتصاديا عميقا نتيجة السياسات الاستنزافية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية. فقد سُخِّرَت جميع الموارد والآليات لصالح المستعمر، وصدرت مراسيم وقوانين جائزة قضت على الملكية الفلاحية عبر مصادرة الأراضي، مرفقا ذلك جباية فاحشة للضرائب، كل ذلك في سبيل تعزيز الاقتصاد الفرنسي وتحقيق أهدافه دون أدنى اعتبار للأوضاع المعيشية للفرد الجزائري. أما عن الأهداف الاقتصادية التي رسمت السياسة الفرنسية الاستعمارية لإنجاح حركة الاستيطان في إقامة المستوطنين بالجزائر تمثلت فيما يلي:

* تزويد الإدارة الفرنسية بمختلف الموظفين والإطارات والكفاءات الفنية في جميع المجالات لتهيئة أرضية جديدة، من شأنها أن تساهم في نمو الاقتصاد الفرنسي.

¹ - بسام العسلي، المقاومة الجزائرية والاستعمار الفرنسي (1830-1833)، دار التعايش، بيروت، 1980، ص 164.

² - أحمد عيمراوي، من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، ط 2، 2009، ص 11.

³ - الطيب بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 160.

* إشراف المستوطنين الأوروبيين بالكفاءة الفنية على تحضير المواد الأولية لتصديرها إلى فرنسا أو أوروبا من جهة ومن جهة أخرى يلعبون دور الوسيط بين منتجات الصناعة الفرنسية الحديثة والصناعة التقليدية واليدوية الجزائرية.

* ربط المستوطنين بالسوق الأوروبية فهم وحدهم باستطاعتهم فهم وتغيير بنية وأهداف الزراعة الجزائرية من أجل هيمنة السوق الفرنسية.

* بإمكان المستوطنين الأوروبيين تحقيق التقسيم العمل اليدوي الاستعماري.¹

* جعل المستعمر الأوروبي والفرنسي مصدر الموارد الأولية مع حرمان الجزائري من تطوير قدراته.²

* جعل الأرض القاعدة المادية والشرعية لهم.³

* استقرار فرنسا في الجزائر وذلك لما تعانیه من مشاكل متعددة لا سيما الاقتصادية وتعويضها بما تتميز به الجزائر من موقع جيو استراتيجي وسياسي وبعد اقتصادي.⁴

3. الأهداف الثقافية:

في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر عملت السلطات الاستيطانية على استهداف الجانب الثقافي وذلك بالقضاء على روافد الثقافة العربية بالجزائر فدعت في دورها على تمدين ونشر رسالتها الحضارية في التفكير والسلوك، فقد جرت في غالبية الحالات محاولة لستر أهدافها تحت راية التبشير والحضارة، سواء عن طريق نقل دين المستعمر أو لغته أو ثقافته أو قيمته وتقاليده أو نظمه ومؤسساته حتى تثبت

¹ - صالح عباد، المعمرون والسياسة في الجزائر (1870-1900)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 11.

² - عميرايو أحميدة، مرجع سابق، ص 232.

³ - مرجع نفسه، ص 233.

⁴ - عبد العزيز فيلا لي، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة (1830-1850)، دار المهدي عين مليانة، الجزائر، ص 17.

دعائم السيطرة والاستيلاء على الأراضي والاستغلال على أساس اجتماعي يتكفل بدوام الاستمرار والاستقرار فضلا عن كونه غطاء لعملية الاستغلال¹.

بالإضافة إلى أن سياسة الاستيطان كانت تهدف إلى خلق ظروف سياسية وثقافية ديموغرافية وذلك من أجل القضاء على الشعب الجزائري وتهميشه وجعل الجزائر أرض فرنسية²، كما انتهجت فرنسا سياسة الاستيطان من خلال إعطاء هذا الجانب حيزا خاصا من أجل:

* إيجاد مجتمع مستوطن من الأوروبيين في المنطقة يكون له تأثير ثقافي³.

* محاربة اللغة العربية وذلك بالقضاء على معاهد الثقافة التقليدية.

* رفع نسبة الأمية بالجزائر وذلك عن طريق غلق المدارس ونفي العلماء وحرمانهم من المساجد والزوايا⁴.

* غرق المجتمع الجزائري في دوامة الجهل والامية مما يسهل إحكام سيطرتها وتقوية نفوذ المستعمرين.

* محاولة المستوطنين الأوروبيين التحقيق عن الشباب المهمش الأكثر عرضة للعذاب من ثقل الفقر

والمشاكل لكشف عن سرهم والعرض عليهم المسيحية كدين مخلص من هذه المشاكل⁵.

* الزيادة في اتساع حركة التبشير المسيحي ونشر الثقافة الغربية التي يمكن لنا في المستقبل أن نكون سعداء

ونحن نمدن الأهالي ونجعلهم مسيحيين⁶.

¹ - بن فرحات عامر، الحقيقة التاريخية لظاهرة الاستعمار الاستيطاني في حوض البحر المتوسط، الجزائر نموذجاً 1830-1962، ملخص مشروع ماجستير تاريخ جامعة الجزائر، 2006-2007، ص12.

² - أحمد مهساس، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار المعرفة، الجزائر، ص195.

³ - خلف التميمي، المرجع السابق، ص25.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، 1996، ص208.

⁵ - نادية طرشون، الهجرة الأوروبية نحو المشرق الغربي، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص171.

⁶ - خديجة بطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، جامعة حلب، الجزائر، 1992، ص17-18.

الفصل الثاني:

سياسة التعسف والتفرقة للإدارة الاستعمارية
تجاه الجزائريين.

-المبحث الأول: التفرقة أمام القانون.

- المبحث الثاني: التمييز في التعليم.

-المبحث الثالث: التفرقة في التوظيف والأجور.

مورست ضدّ الجزائري بالإضافة إلى حرمانه من ممتلكاته، وحقوقه، التفرقة في الممارسات اليومية سواء أمام القانون، أو فيما يتعلق بحقوقه في التعليم، والتوظيف، والصحة وغيرها. ومن مظاهر ذلك:

المبحث الأول: التمييز العنصري أمام القانون.

خضع الجزائريون لنظام قانوني واجتماعي مزدوج يميز بين المستوطنين الأوروبيين والجزائريين، فالمستوطنون الأوروبيون كانوا يتمتعون بالحقوق المدنية والسياسية كاملة بموجب القوانين الفرنسية، بينما حرم منها الجزائريون الذين كانوا تحت سلطة قوانين استثنائية يعاملون من خلالها كمواطنين من الدرجة الثانية ويخضعون لقوانين استثنائية.¹

فمنذ السنوات الأولى للاحتلال شرعت فرنسا الاستعمارية في سن تشريعات استثنائية مخزية لا تسوي بين المستوطن والأهلي أمام القانون. وهي عبارة عن قرارات إدارية وسياسية خاصة بالمسلمين وتستثني غيرهم من الأوروبيين واليهود وتكرس التفرقة والتمييز العنصري، لا تستند على روح القانون الفرنسي.² ومن مظاهر هذا التمييز نذكر ما يلي:

1. قانون الأهالي:

سعت إدارة الاحتلال إلى تمرير مجموعة من القوانين عبر البرلمان الفرنسي، مدفوعة بضغط من نواب يمثلون مصالح المستوطنين في الجزائر. وقد استندوا في ذلك إلى حجج متعددة، من أبرزها تدهور الأوضاع الأمنية، وتزايد الاضطرابات خاصة في المناطق الريفية إضافة إلى تكرار حوادث النيران في الغابات³ حيث

¹ Charles- Robert Ageron, *histoire de L'Algérie contemporaine*, Paris, PUF, 1968, p652.

² - يحي بوعزيز، الوضع العام في الجزائر عشية ثورة أول نوفمبر 1954، *مجلة الذاكرة المتحف الوطني للمجاهد*، ع 7، ص9-ص25.

³ - بوحوص شهيناز، القوانين الاستثنائية الفرنسية في الجزائر (1830-1882)، *مجلة أفاق فكرية*، ع2، م 10، جامعة جيلالي لياس سيدي بلعباس (الجزائر) 2022 ص 81.

قامت فرنسا بشن حملة من القوانين الزجرية بهدف إحكام قبضتها على الشعب الجزائري، محاولة بذلك تنظيم العلاقة بين الطرفين بما يخدم مصالحها. ومن أبرز هذه القوانين نجد ما يعرف بقانون الأهالي.¹

أ- مفهوم قانون الأهالي:

قانون الأهالي أو ما يعرف بالأنديجينا هو تشريع استعماري فرضه الاحتلال الفرنسي في 28 جوان 1881 خلال فترة الحاكم العام جول فيري. وقد استخدم هذا القانون كأداة قمعية بحتة، ووسيلة لترسيخ الاستعمار والاستعلاء على السكان الجزائريين. والذي تجاوز كل حدود المنطق والمعقول.²

كان الهدف من هذا القانون هو إخضاع الأهالي ومنعهم من التمتع بأي حقوق مدنية أو سياسية، بل حوّلهم فعلياً إلى رعايا من الدرجة الثانية داخل وطنهم يعتبر "بالأنديجينا" من أبرز الأمثلة على التمييز والتفرقة حيث سلب الجزائريين كرامتهم وحقوقهم الأساسية، وجعلهم تحت رحمة سلطة استعمارية متعجرفة تجاوزت كل حدود العدالة والإنصاف. كما يعدّ مجموعة من النصوص الاستثنائية وغير المعتادة، فرضتها السلطات الفرنسية خصيصاً على الجزائريين خارج إطار القوانين المدنية أو العسكرية المعتادة، فرضتها إذ كانت تعاقبهم بالحبس والغرامة على لا تعبر مخالفات في القانون الفرنسي العادي. وابتداءً من عام 1881 تم تحديد مخافة ضمن هذا القانون ليتم توسيعها لاحقاً إلى 1021 مخالفة بحلول عام 1890.³ وقد صممت هذه الإجراءات القمعية بهدف كسر إرادة الجزائريين، وإجبارهم على الخضوع الكامل للسلطة الاستعمارية الفرنسية.⁴

¹ - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات جامعة بن عكنون، الجزائر، 2002، ص. 105.

² - عمّار عمّورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ربحانة، الجزائر، 2002، ص 129.

³ - نفسه، ص 105.

⁴ - طاليس إبراهيم، السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على الثورة (1956-1958)، دار الهدى، 2013، ص 28.

ب. مراسيمه:

قامت سلطات الاحتلال بتطبيق سياسة قمعية مستندة إلى ما نصّ عليه قانون الأهالي الذي كان معمولاً به قبل عام 1873، وذلك من خلال ما يعرف بالمجالس العسكرية. وقد تولت تنفيذ هذه الصلاحيات هيئة تعرف باسم اللجنة التأديبية، وسنحاول فيما يلي دراسة هذه الهيئة بشكل مختصر.

-المجالس الحربية :

تم إصدار تعليمات بتطبيق النظام العسكري باعتبار من 26 سبتمبر 1842، وقد احتضنت المجالس الحربية بشكل استثنائي بالنظر في مخالفات المدنيين الجزائريين دون غيرهم، وهو أمر نادر، أن هذه المجالس تختص عادة في باقي المستعمرات للنظر في قضايا العسكريين فقط.¹ وتكونت من أربعة مجالس حرب، اثنان في وهران وواحدة في العاصمة وأخرى في قسنطينة، وقد أوكلت إليها مهمة التضييق على السكان المسلمين والنظر في القضايا الجنائية والجنسية التي يرتكبها الأهالي داخل المناطق العسكرية.²

وبالتالي فإن جميع المخالفات والجرائم التي يرتكبها الجزائريون داخل المناطق العسكرية تعرض على المجلس الحربي للفصل فيها بالاستئناف أو المعارضة وقد اتسمت هذه الأحكام بالقسوة وكان الهدف الأساسي منها هو قمع الحركات الشعبية المناهضة.³

-اللجان التأديبية:

بعد التمدد التدريجي لنطاق التأديب وتوسع سلطة الحكم المدني الذي بات يغطي أغلب الجزائر، سعى المستوطنون (الكولون) إلى تمكين المتطرفين على مستوى البلديات المختلطة من صلاحيات قهرية، وفي هذا السياق أصدر الوالي العام بتاريخ 4 جانفي 1868⁴ قرار تضمن جملة من الإجراءات الردعية،

¹ - خياطي مصطفى، حقوق الإنسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، منشورات (ANPA)، الجزائر، ص 226.

² - فارح رشيد، التنظيم القضائي إبان الاحتلال بين العام وتمييز الأعمال، الملتقى الوطني حول القضاة إبان الثورة التحريرية، الجزائر، 2007، ص 55.

³ - نفسه، ص 56.

⁴ - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 2، 1884، ص 280.

والتي لم تكن تستند إلى أي نصوص قانونية رسمية، بل نفذت من قبل هيئات أطلق عليها اسم "لجان التأديب".¹ وقد وصفها "لاريشتي" بأنها ليست محاكم بالمعنى الحقيقي، بل هي لجان تتكون من جنود لا يتمتعون بصفة القضاة، ومع ذلك كانت تصدر أحكامها بالسجن، وفرض غرامات مالية باهظة على السكان المحليين. ومن ضمن هذه المخالفات التي يعاقب عليها الأهالي:²

* قطع وإتلاف الأشجار والمزروعات وإحراق المزارع أو أكوام الحصاد المجموعة.
* عصيان رجال الشرطة أو التحايل عليهم أو تهديدهم بأي وسيلة كانت حتى ولو كان التهديد لفضي ناجما عن رد فعل مقبول منطقيا.

* الفرار من السجن والمشاركة في القيام بالجنح. التشريد بجميع أنواعه.³
* جاء قانون الأنديجينا امتدادا لما سنته السلطة الفرنسية من قوانين تعسفية سابقة.

بالإضافة إلى مجموعة من الأحكام التي تعد مخالفات يعاقب عليها الأهالي في حال التخلف عن تنفيذها أو التعاون فيها. ومن بين هذه القوانين نذكر ما يلي:

- التهاون في تسجيل الموالى أو الوفيات واللقب العائلي.
- إيواء أشخاص من غير الدائرة دون رخصة التنقل.
- الاحتفاظ بحيوانات تائهة أكثر من 24 ساعة دون إعلام السلطات الفرنسية.
- الانتقال إلى منطقة أخرى دون رخصة.⁴
- السكن في مكان معزول دون رخصة من البلديات.

¹ - مزيان سعدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871-1914، ج1، دار سانجاق، الجزائر، 2010، ص280.

² - مزهود الصادق، تاريخ القضاة في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2012، ص280.

³ - رشيد فارح، المرجع سابق، ص57.

⁴ - أوليفيه لوكور غرانمزون، في نظام الأهالي، ترجمة العربي بوينون، منشورات الشائحي، الجزائر 2011، ص114.

- الاجتماع لأغراض دينية دون رخصة مثل: (الزردة - زيارة الشيوخ...).
 - إهانة مستخدمي السلطة الفرنسية ولو كان خارج وظائفهم.
 - مغادرة الدوار دون رخصة.
 - تغيير وتنظيم وتبديل العلامات على الطرق.
 - الامتناع عن أوامر السلطة الإدارية.
 - فتح مسجد أو زاوية أو مدرسة دون رخصة.
 - الامتناع عن الذهاب لمقابلة ضابط البوليس العدلي بعد الاتصال بالاستدعاء الرسمي.¹
- الضرائب الأوروبية:

بالإضافة إلى الضرائب العربية، كان الأهالي يسددون.

ج. الآثار المترتبة عن قانون الأهالي:

من بين الظواهر الخطيرة التي نجمت عن قانون الأهالي:

برزت ظاهرة المجاعة التي عانى منها سكان الجزائر، سواء في المناطق الريفية أو داخل المدن. فقد أدى هذا القانون الجائر إلى تدهور الأوضاع المعيشية، حتى اضطرت الجزائريون في كثير من الأحيان إلى الاعتماد على الأعشاب والنباتات البرية لسد حاجياتهم. وساهم في النقص الحاد في المرافق الصحية وقلة الأطباء مما أدى إلى تفشي الأمراض المعدية وعلى رأسها مرض السل.²

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط4، 1992، ص453.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، دار الغرب الإسلام، بيروت، لبنان، 2005، ص190.

بالإضافة إلى معاناة الجزائريون من مجاعات وقحط شديد خلفت آثارا مدمرة على حياتهم من نفشي الأوبئة الفتاكة مثل الكوليرا والتيفوس نفاد مؤوناتهم الغذائية واضطراهم لبيع ممتلكاتهم من عقارات وأراض ونتيجة الضغوط المختلفة التي حاصرتهم من كل جانب.¹

وفي محاولة لمسح الشخصية الجزائرية نذكر الآثار المترتبة عن قانون الأهالي ما يلي:

* تقييد الحركات العامة للجزائريين، حيث فرض عليهم نظام استثنائي يميز بينهم وبين المواطنين الفرنسيين.²

ومن الانعكاسات التي نتجت عن هذا القانون أيضا مشكلة الهجرة حيث تم طرد الجزائريين من أراضيهم وحرمانهم منها وتغيير طبيعة منتجاتها إلى إنتاج الكروم وبناء المستوطنات الأوروبية.

* سن قوانين قاسية كقانون الأهالي، المحاكم الزجرية وقانون التجنيد الإجمالي³

* محاولة طمس شخصيتهم، وخنق الحريات، ومحاصرة الفرد الجزائري ومطاردته أمنيا.

* الفقر الذي يعيشه الجزائري مقارنة مع المستوطن الأوروبي الذي يعيش الرخاء.

كما أحدث صدور القانون الزجري صدمة في نفوس الجزائريين الذين اعتبروه إهانة مباشرة لكرامتهم ومساسا لمشاعرهم الوطنية. فثار الشعب غاضبا، معبرا عن رفضه لهذا القرار الجائر. ونتيجة لهذا الغضب العام، لجأ العديد من الجزائريين إلى الهجرة فرارا من بطش الحكم الفرنسي فتركوا في أرجاء العالم الإسلامي فمنهم من قصد بلاد الشام وآخرون شدو الرحال إلى الحجاز والدولة العثمانية وبعضهم استقر في تونس بينما اختار آخرون المغرب الأقصى ملجأهم متحدين هدف واحد الهروب من ظلم

1 - صاري جلال، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، تر: عابد فوزية، دار غرناطة الجزائر، 1984، ص210.

2 - محفوظ قداش، تاريخ جزائر الجزائريين بين (1830 واستحدث قانون 0-1954)، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008، ص39.

3 - بشير كاشة الفرحي، مختصر ووقائع وأحداث ليل الاستعمار الفرنسي للجزائر 1830-1952، المؤسسة الوطنية للنشر، روية، 2007، ص141.

الاستعمار¹. واستحدث قانون الأهالي الصادر في 20 جوان 1881 غرامات خاصة بالأهالي الذين يتهربون من دفع الضرائب في آجالها المحددة².

وقد أثبت هذا الإجراء القمعي فاعليته في إجبار الأهالي على الوفاء بالتزامهم الضريبية في آجالها، ويمكن أن يتضح واقع تطبيق الغرامات على الأهالي منذ صدور قانون الأهالي من خلال الجدول التالي:³

السنة	عدد العقوبات	متوسط الألف ساكن	قيمة الغرامة
1882	26081	14	208436 ف
1889	23592	10.89	39765 ف
1990 سداسي أول	122001	5.2	73462 ف
1891-1890	18630	0.8	112383 ف
1895-1894	23491	10.11	96631 ف
1896-1895	20097	8.64	92669 ف
1899-1898	23366	9.30	113790 ف
1900-1899	23813	9.81	114525 ف

جدول يمثل الجرد التفصيلي للعقوبات وقيمة الغرامات بمقتضى قانون الأهالي خلال الفترة 188-1900

2. النظام الضريبي:

¹ - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام (1837-1962)، ج5، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص192.

² - محمد العربي ولد خليفة، المحنة الكبرى، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص74.

³ - محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، ص203-204

من نماذج اللامساواة أمام القانون في الحقوق والواجبات فيما يتعلق بدفع الضرائب، فقيمتها تحدد حسب نوعية وجنس دافعيها، أي أنه لا يتساوى المستوطن والجزائري في دفعها.¹

أ. مفهوم النظام الضريبي: هو النظام الذي كان معمولاً به خلال العهد العثماني واستمرت السلطات الاستعمارية في تطبيقه مع الحفاظ طابعه الديني في الغالب. ولم تقتصر فرنسا على انتزاع أراضي الجزائريين، بل عمّدت أيضاً إلى فرض جديدة، اتسمت في معظمها بالظلم والجور تجاه السكان فقد رأت السلطات الفرنسية أن الأهالي الجزائريين يعيشون حياة بسيطة قليلة التكاليف، مما دفعها إلى التفكير في فرض ضرائب عليهم بطرق أكثر شدة. فقد كانوا يسكنون الخيام وبيوت القصدير والطوب بدل البيوت المكلفة ولا يقبلون إلا على شراء الكماليات، بل يقتصر استهلاكهم على ما تصنعه أيديهم أو تستخرجه الأرض والحيوانات وبما أن نفقاتهم محدودة، كانت مواهم تبقى بجوزتهم مما جعلهم هدف للضرائب المتزايدة.²

ب. أنواع الضرائب:

لم تقتصر السلطة الاستعمارية على إدخال تغيرات اقتصادية تخدم مصالح الاقتصاد الفرنسي، بل تجاوزت ذلك إلى فرض سياسات قمعية صارمة على السكان المحليين، خاصة في حال تورطهم في أي شكل من أشكال المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر. ومن بين هذه السياسات، إثقال كاهل الأهالي بأنواع متعددة من الضرائب، وهو ما تجلّى منذ المراحل الأولى للاحتلال، كما هو في المرسوم الصادر بتاريخ 17 جانفي 1845، والذي نص على فرض مجموعة من الضرائب على السكان الجزائريين.³

-الضرائب العربية:

¹ - A.H,Dupuy ,**Lesimpots Indigenes en Algerie** ,Alger, Imprimerie Gojosso ,1910,page51

² - الغالي غربي وآخرون، **العدوان الفرنسي على الجزائر خلفيات وأبعاد**، سلسلة للبحث منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، دار هومة، طبعة خاصة، الجزائر، 2007-2008، ص255.

³ - فرنسيس كوليت جانسون، **الجزائر خارجة عن القانون**، تر: محمد المعراجي، وزارة المجاهدين، الجزائر، ص310.

كانت الضرائب المفروضة على العرب في الجزائر تشمل أنواعا متعددة، مثل الضرائب على الأراضي والإنتاج والماشية والمساكن، بالإضافة إلى ضرائب فرضية عام 1860، بلغ متوسط ما تجنيه الإدارة الفرنسية من هذه الضرائب نحو 12 فرنك سنويا للفرد، مقارنة بأقل من فرنك واحد في عهد الأمير عبد القادر.¹ وفي بداية الاحتلال الفرنسي، كانت هذه الضرائب تحصل بشكل غير منظم، قبل أن تصنف لاحقا إلى أربع فئات رئيسية (ضريبة الأرض وتشمل العشور والحكور، ضريبة الماشية وتعرف بالزكاة وضريبة الرأس وكانت تطبق في منطقة زواوة، ضريبة اللزمة وكانت تخص المناطق الصحراوية).²

1- الزكاة: كانت الزكاة* تفرض كضريبة على أنواع من الأنعام مثل الجمال، الأبقار، الغنم، المعز، ولم تطبق هذه الضريبة على منطقة القطر الجزائري إلا بعد عام 1852، إذ لم يكن الشرق القسنطيني خاضعا لها قبل ذلك

التاريخ، وقد كانت مبالغ الزكاة تختلف باختلاف نوع الماشية والمنطقة، إلى أن قامت السلطات الفرنسية في عام 1863 بتوحيد هذه الضريبة وتحديد قيمتها بشكل رسمي.³

2- العشور: تفرض العشور* على الأراضي الزراعية وفقا لمجموعة من المعايير، مثل كمية الإنتاج (الجابدات)، ومساحات الأراضي (الزويجات) إلى جانب عوامل منطقية ومحلية تختلف من منطقة إلى

¹ - عبد الله مقلاتي، المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي الجزائري ورود الفعل الوطنية (1830-1962)، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 145-146.

² - مقلاتي عبد الله، في جذور الثورة الجزائرية ومقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى الفاتح من نوفمبر 1954، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 143-144.

* الزكاة: شرعا هي حق يجب في المال، وعرفها المالكية على أنها إخراج جزء مخصوص من مال مخصوص بلغ نصاب لمستحقه، إن تم الملك، وحول، غير معدن وحرث، وعرفها الشافعية بأنها اسم لما يخرج عن مال أو بدون على وجه مخصوص، ينظر: وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأذله، ج 2، دار الفكر، الجزائر، 1412-1991، ص 730-731.

³ - شارل روبر أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، تر: حاج مسعود وأ، بكلي، ج 1، الجزائر، 2007، ص 466

* العشور: في الإسلام هي الزكاة التي يخرجها المسلم على الزروع والثمار وتقدر بعشر المنتوج سقت السماء والعيون، أنظر وهبة الزحيلي، ص 800-80

أخرى وفي بعض الحالات تحصل هذه العشور بشكل عيني (أي من المحصول نفسه) ولا يتم استياء هذه الضريبة إلا بعد الانتهاء من عملية الحصاد.

3-الحكور: تمثل الحكور نوعا من الضرائب التي خصص بها مقاطعة قسنطينة، وقد ظهرت في الفترة العثمانية، إنجازا مفروضا على أراضي الدولة (أراضي العزل والبايلك) مند عهد صالح باي.¹ كانت تدفع من قبل الفلاحين ضمن ما يعرف بالمزارع المتقطعة² تم توسيع نطاق هذه الضريبة بموجب قانون 22 أبريل 1860 ويبدو أنها جاءت لتكمل ضريبة العشور. وقد تم تحديد قيمتها المالية بعشرين فرنك إذا كان العشور مقدرا بـ 25 فرنك وبـ 10 فرنكات إذا كان العشور أقل من ذلك³. وإضافة إلى كونه ضريبة عقارية ثانية إلى جانب العشور فقد تواصل دفعه عندما يتحول أراضي العزل إلى ملك، إثر تنازل أو هبة من طرف الدولة،⁴ ويذكر شارل رويير أجيريون أن هذه الضريبة كانت تدفع من قبل أهالي عمالة قسنطينة عام 1870 في 81 بلدية من جملة 12 بلدية موجودة في العمالة.

4-اللزمة: اللزمة هي ضريبة محلية تعود جذورها إلى العهد العثماني، أنشئت في الأصل استنادا إلى مبدأ دعم الجماعة الإسلامية عبر تمويل الجيش، خاصة في المناطق الريفية. ورغم تعاقب الاحتلال، فقد استمر في فرضها. ومن أبرز المناطق التي كانت خاضعة لها: منطقة الأوراس، بلاد النمامشة وبلاد القبائل، كانت تحصل على شكل كميات محددة من المنتجات أو مبالغ مالية بين 3% و 4% من الدخل،⁵ كما تعد ضريبة "اللزمة" من الضرائب المستحدثة التي أقرت بصفة رسمية بموجب المرسوم الصادر في 17 جانفي 1945، حيث تم اعتمادها من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية وقد أستند في تحديد قيمتها إلى

¹ - توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر 1792-1865، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2007-2008، ص 351.

² - شارل رويير أجيريون، مرجع سابق، ص 464

³ - توفيق دحماني، مرجع نفسه، ص 351

⁴ - شارل رويير أجيريون مرجع نفسه، ص 464

⁵ - بشير بلال، مرجع سابق، ص. 258.

أصناف النخيل، وعددها ونوعيتها إنتاجها. ومع مرور الوقت، شهدت هذه الضريبة تطورا ملحوظا من حيث قيمتها المالية، خاصة بالنظر إلى اختلاف جودة التمور.

ففي سنة 1988 تم تصنيف النخيل إلى ثلاث فئات:

- الصنف الأول: يشمل نخيل تمور التصدير من نوع دقلة نور وكانت الضريبة المفروضة على كل نخلة تبلغ 1.80 فرنك.
- الصنف الثاني: يضم النخيل المنتج التمور رخوة موجهة للاستهلاك المحلي، وقدرت الضريبة عليه ب 0.99 فرنك لنخلة الواحد.
- الصنف الثالث: يضم التمور الجافة ذات الجودة المتدنية وقد فرضت ضريبة بقيمة 0.5 فرنك عن كل نخلة.¹

أما من حيث التقديرات الإجمالية، فقد بلغت ضريبة الزمة بالنسبة لأولاد قنوان نحو 150 ريالات سنويا. أي ما يعادل 300 فرنك تقريبا في حين قدرت بحوالي 1500 فرنك كل ستة أشهر لدى قبيلة عامر بالشرافة². ولم يشرع في تطبيقها إلا من تاريخ 18 جوان 1858 فكانت تظهر في شكل ضريبة ثابتة شاملة وهي بمثابة حث ولاء القبائل البعيدة، أو في شكل ضريبة فردية تعرف بعدة أسماء منها: ضريبة الدم، ضريبة الرأس والحزبة³ إضافة إلى ضرائب أخرى نذكرها بشكل مختصر وهي:

5- **العسة أو اللوسة:** ضريبة كانت تدفعها القبائل الصحراوية والرحل والتي كانت تأتي إلى الشمال بحثا عن الملك والتي انطوت تحت الحكم الفرنسي وألغيت سنة 1858م.

¹ - فرانسيس كوليت جانسون، المرجع السابق، ص 311-312.

² - صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، ضوء شرق البلاد (1844-1871)، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 190.

³ - توفيق دهماني، المرجع السابق، ص 355.

6- حق الشعير: واختصت لها عمالة وهران فقط وكانت تدفعها قبيلتا الدواوير والزمالة مند خضوعها للإدارة الفرنسية سنة 1835م.

7- حق البرنس : اعتبرت بمثابة هبة أو صدقة وكانت استكمالا لما كان قائما في الجزائر مند العهد العثماني كحقوق تولي المناصب وكان يقدمها السكان لحياة الضرائب بغية تغطية مصاريف عملية تقدير الضرائب العربية وجباية مختلف أنواعها.

وكانت مختلف الضرائب العربية في البلدان العربية تسدد عينا في السابق. ثم بدأ العمل بدفعها نقدا اعتبارا من سنة 1845. وبعد عام 1860م أصبح يتم تحديد قيمة الضريبة سنويا، ويحسب المبلغ الواجب تسديده من قبل كل جزائري إلى الخزينة، وقبل سنة 1877، كان العشر يفرض فقط على القمح والشعير، وفقا للتقاليد السائدة آنذاك، لكن بدءا من تلك السنة أصبح العشر يطبق على جميع أنواع الحبوب دون استثناء.¹

كان الجزائريون مجبرين على دفع ضرائب شخصية بالإضافة إلى ضرائب تفرض عليهم بسبب أقاربهم سواء كانوا من العائلة القريبة أو البعيدة.² وقد شملت هذه الضرائب ما يعرف بالضرائب الحربية التي تراوحت نسبتها بين 19% و20% من مداخيل الوحدات الإنتاجية الجزائرية في بدايات القرن 20 وفقا لبعض المصادر. وقد بلغت القيمة الإجمالية لهذه الضرائب نحو 21 مليون فرنك في سنة 1887 واعتبرها أحد الفرنسيين آنذاك ظالمة وغير شرعية، نظرا لثقلها الكبير نتيجة للهزيمة التي ألحقت بالجزائريين.³

بالإضافة إلى الضرائب المفروضة على القبائل والأفراد الذين حملوا السلاح.⁴ وتكمن أهمية الضرائب في إسهامها الفعال في دعم الخزينة العامة الفرنسية، حيث تختلف آلية توزيع عائداتها تبعا لنوع البلدية

¹ - صالح بلحاج، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910-1939، دار بن مرابط للنشر، الجزائر، 2015، ص86.

² - نفسه، ص87

³ - بشير بلاح، المرجع السابق، ص258

⁴ - عبد الله مقلاتي، المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830-1962، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص146.

ففي البلديات الكاملة الصلاحيات تقسيم العائلات بين الإقليم والدولة، أما في البلديات المختلطة فيخصص 10% من العائدات لرؤساء جمع الضرائب، بينما يوزع الباقي بين الإقليم والدولة. كافة الالتزامات والضرائب المباشرة وغير المباشرة، على غرار ما كان يحدث في الدول الأوروبية. فقد كانوا يؤدون ضرائب على الملكية والإيجار وحقوق التسجيل، إلى جانب ضرائب على المنازل والكلاب،¹ وقد بلغت الضرائب المختلفة التي دفعها الأهالي عام 1881 الأرقام التالية:

-45.000 فرنك رخص بيع السجائر.

-132.321 فرنك من ضرائب المهن.

-679.770 فرنك من رسوم للطوابع وحقوق التسجيل.

وفي الفترة الممتدة ما بين 1871 و1881 اضطر الأهالي دفع غرامة حرية ثقيلة بلغت 34.500.000 فرنك، وذلك لاستعادة أراضيهم التي صادرتها الإدارة الاستعمارية. ومع ذلك لم تخصص هذه الإدارة شيئا من المبالغ لخدمة المصلحة العامة للسكان المحليين. وقد علقت جريدة "لافيجري ألبيريان" على هذه السياسة الضريبية الجائرة لقوله "لو فرض نضام ضريبي دائم قمعي كهذا على أغنى بلدان أوروبا لما أحتج الأمر إلا لبضع سنوات لتحويلها إلى حالة بؤس كامل². وهذا التعليق عبر عن الوجه الحقيقي للنظام الإستعماري الفرنسي في الجزائر، نضام لم يكن هدفه سوى استنزاف السكان الأصليين وإفقارهم المتعمد. وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن هذا النظام اتسم بما سمي "بالازدواجية" أو "الثنائية".

¹ - BequieuLeroy, **L'Algérie et la Tunisie**, Paris, 1897, page 206

² - Charles Robert Ageron, *Algerie musulman, Les Algériens, musulmans et la France* (1871-1913) Paris, 1968, p. 258

المبحث الثاني: التمييز العنصري في التعليم.

كان الاستعمار على وعي تام بأن التعليم الجزائري، والثقافة الإسلامية سوف يشكّلان دعامة قوية للهوية الوطنية ولهما تأثير سياسي كبير، إذ يجعلان من الشعب الجزائري كتلة متماسكة يصعب اختراقها وإذابتها في الثقافة الاستعمارية.¹ كما انتهج الاستعمار الفرنسي سياسة لتشويه الشخصية الجزائرية من خلال نشر الجهل وطمس الذاكرة التاريخية والحضارية، بعد أن أدرك الدور المحوري للغة العربية في الحفاظ على هوية الشعب الجزائري. لذلك، شن حملة شرسة ضد التعليم والعلم بهدف منع نشوء أجيال مثقفة وواعية. وسعى إلى فرض فكرة أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، فقام بتخريب المساجد والزوايا وتغيير وظائفها، ومجارية العلماء والأئمة، ومصادرة الأوقاف وأحرق المكتبات، وكل ذلك جرى في إطار مخطط استعماري. لطمس مقومات الأمة الجزائرية.²

أدرك الاستعمار أن البنية الثقافية الجزائرية تمثل مصدر قوة يدفع الشعب إلى مقاومته، فسعى جاهداً إلى تدمير هذه البنية، بدءاً بالقضاء على نظام التعليم التقليدي الذي كان سائداً في الجزائر. عمل على نشر الجهل بين الجزائريين أو تغريبهم عن هويتهم، فقام بهدم المدارس والمراكز الثقافية، وأغلق عدداً منها، بينما وضع ما تبقى تحت رقابة صارمة.³ وفي المقابل سمحت للمستوطنين بإنشاء مدارس خاصة بهم، بل شجعتهم على ذلك، وهذه السياسة نجحت إلى حد كبير في تجهيل الجزائريين، فكانت نسبة الأمية بينهم تقارب 95 بالمائة بالنسبة للرجال و99 بالمائة بالنسبة للنساء. وخلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر استخدمت فرنسا التعليم كوسيلة للسيطرة الثقافية على الجزائريين. فأعلنت المدارس التقليدية كالزوايا والمساجد، ومنعت التعليم العربي والإسلامي، وأنشأت مدارس فرنسية التي تهدف إلى نشر اللغة والثقافة

¹ - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830~1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص269.

² - صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830~1925، مديرية النشر الجامعة قلمة، 2010، ص153.

³ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ال جزائرية 1830-1900، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، من ص255 إلى ص259.

الفرنسية. لكن هذه المدارس لم تكن متاحة للجميع، حيث تم تمييز التعليم بين الجزائريين والأوروبيين، مما أدى إلى ارتفاع نسبة الأمية بين الجزائريين، حيث حصل الأوروبيون على تعليم أفضل وفرص أكثر، بينما حرم العديد من الجزائريين من التعليم الجيد.¹

1. السياسة التعليمية الفرنسية:

بعد أن احتلت فرنسا الجزائر، حاولت سلطاتها العسكرية تنظيم تعليم خاص بالجزائريين بهدف تكوين أشخاص يدينون بالولاء لها. فقامت بإنشاء مدارس ومعاهد تعلم بالعربية والفرنسية، وسيطرت على التعليم العربي الإسلامي، لكنها جعلت هذا التعليم موجهاً لفئة صغيرة فقط من الجزائريين، بينما تركت الأغلبية في جهل وحرمان من التعليم، والدليل على ذلك أنه في سنة 1882، كان هناك تلميذ واحد فقط يتعلم من بين كل ألف جزائري.²

شكلت السياسة التعليمية الفرنسية، منذ بدايتها في العهد الإمبراطوري،* أداة استراتيجية تهدف إلى طمس الهوية الثقافية الوطنية في الجزائر، واستبدالها بالثقافة والتعليم الفرنسيين. قد تم توجيه هذه السياسية نحو فئات محددة من السكان، لتكون بمثابة حقل تجارب للمشروع الاستعماري. كان الهدف الأعمق من ذلك هو تحويل المجتمع الجزائري إلى المجتمع الفرنسي، وربطه عضوياً بفرنسا الأم، باعتباره امتداداً طبيعياً لجنوبها، في محاولة لتمييز الجزائر عن بقية المستعمرات الفرنسية وجعلها مستعمرة من طراز خاص³ كما سعت المدارس الحكومية الفرنسية في الجزائر إلى منافسة الزوايا والمساجد، بهدف انتزاع الجزائريين من تأثيرها وتكوينهم وفق النموذج الفرنسي، لضمان ولائهم الدائم للمشروع الاستعماري، ورغم تبنيها لسياسة التقارب والدمج، إلا أن هذه التجربة باءت بالفشل، ما أدى إلى إغلاق تلك

¹ - عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 52.

² - مسعود عوادي، مظاهر النظرة الاستعمارية والتفرقة للاستعمار الفرنسي تجاه المجتمع الجزائري 1870-1962، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع، م، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، جوان 2025، ص 9.

* الإمبراطورية الفرنسية 1852-1870: هي مجموعة من المناطق التي خضعت للحكم الفرنسي، وبلغت ذروتها مع لويس نابليون الثالث وجعل نفسه إمبراطور العرب. ينظر شارل رويبر أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا المرجع السابق ص 423.

³ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 162

المدارس واستبدالها بنظام تعليمي جديد قائم على التمييز العنصري. فقد تم الفصل بين تعليم الجزائريين وتعليم الأوروبيين من حيث مؤسساته التعليمية وبرامجه¹.

وفي 21 مارس 1938، أصدر وزير المعارف الفرنسي قرارًا يقضي باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية داخل الجزائر، ما يعني خطر تدريسها في المدارس، وكأنها لغة غريبة عن موطنها الأصلي. ولم تكتفي السلطات الاستعمارية بذلك، ففي 22 أبريل 1945، جاء قرار آخر يحمل نوايا خفية لا يقبل أي معلم لتدريس اللغة العربية إلا إذا كان متقنًا للفرنسية، ولم الهدف تحسين التعليم، بل كان محاولة مكشوفة لضرب المعلمين العرب لا يتقنون الفرنسية، فكانت تلك وسيلة ماهرة لإقصائهم وطمس الهوية والثقافة للأجيال القادمة.²

2- إنشاء مدارس فرنسية:

أدرك الفرنسيون أن تعليم اللغة الفرنسية لأبناء الجزائريين هي وسيلة سهلة للسيطرة عليهم، لذلك شجع العديد من قادتهم، سواء من عسكريين أو مدنيين، على تعليم اللغة الفرنسية للسكان. من بين هؤلاء كان الجنرال بيجو، الذي كان يرفع شعار "السيف، المحراث، والقلم" وأيضاً الدوق دومال، الذي رأى أن "فتح مدرسة في وسط السكان أفضل من إرسال فيلق عسكري". فقام بفتح مدارس تعلم اللغة الفرنسية بهدف ما يسمونه "التعصب الديني"، وغرس حب فرنسا في عقول الأطفال الجزائريين، حيث يصبح في المستقبل موالين لها ويخدمون مصالحها. لكن هدفهم لم يكن نشر التعليم الحقيقي، بل تقديم تعليم بسيط ومحدود، لإبقاء الجزائريين في الجهل، واستغلالهم بشكل أكبر.³

كما تم إنشاء نوعيين من المدارس، نوع خاص بأبناء الأوروبيين المستوطنين في الجزائر، والأخرى تخص أبناء الجزائريين حيث جعلت التعليم فيهما باللغة الفرنسية معاً.⁴

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 52

² - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 98

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص من 375 إلى 377.

⁴ - تركي رابح، المرجع السابق، ص 22.

3- نماذج عن المؤسسات التعليمية الفرنسية:

أ. التعليم الابتدائي:

مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، سار التعليم المخصص لأبناء الأهالي الجزائريين بوتيرة بطيئة للغاية. فقد تميزت تلك المرحلة بالتردد والحذر، ورغم ذلك أنشأت مدارس للتعليم المشترك في المدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة ووهران وعنابة، إلا أن هذه المدارس خصصت بشكل رئيسي لتعليم أبناء الأوروبيين، مما أدى إلى ضعف التحاق التلاميذ الجزائريين بها. وكان تأسيس المدارس الابتدائية يرتبط غالبًا بمدى كثافة الجالية الأوروبية في المنطقة.¹ ففي 14 جويلية 1850، أصدرت الإدارة الفرنسية قرار بإنشاء ست مدارس ابتدائية تمولها الحكومة، وكان التعليم فيها مجانيًا. كان يشرف على كل مدرسة معلم فرنسي يساعده معلم مسلم، ويتم تعيينهما من قبل الوالي العام باقتراح من عام المنظفة، كما نص القرار على إنشاء أربع مدارس للبنات، تدير كل مدرسة معلمة فرنسية وتم بناء هذه المدارس في مدن وهران قسنطينة وعنابة والبليدة.²

أما بالنسبة لمناهج هذه المدرسة الابتدائية، التي وضعتها الإدارة الاستعمارية لتعليم أبناء الجزائريين، فقد تمحورت بشكل كبير حول اللغة الفرنسية، متجاهلة اللغة العربية، لذلك نجد أن المواد الدراسية تضمنت اللغة الفرنسية وآدابها، بالإضافة إلى الجغرافيا والتاريخ بالفرنسية، إلى جانب الحساب والهندسة باللغة الفرنسية، فأقتصرت تدريس اللغة العربية والفقه والتوحيد.³

كما سعت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى توسيع نطاق التعليم في الجزائر من أجل دمج الجزائريين بالمدارس الفرنسية، معتمد على تقديم مجموعة من الامتيازات والتسهيلات لجذبهم. إلا أن هذه الجهود لم تحقق نتائج، إذ ظل إقبال الجزائريين ضعيفًا، ويتضح ذلك من إحصائيات سنة 1839، حيث

¹ - أبو القاسم سعد الله خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير، الجزائر 2011 ص 86.

² - جمال قنان التعليم الأهلي في الجزائر في عهد ال إستعمار 1830-1944، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 211.

³ - رابح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900-1914)، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص 151.

بلغ عدد التلاميذ المسجلين 1324 تلميذا، منهم 1009 أوروبيين، و220 يهوديا، مقابل 95 تلميذا جزائريًا فقط، رغم أن الكتلة السكانية للجزائريين كانت تفوق بكثير من عدد الأوروبيين واليهود في البلاد.¹

عدد تلاميذ	عدد المدارس	عدد الفصول	النسبة
المستوطنين	1600 ألف	1400	4200
الأهالي	29 ألف	699	1908
			92%
			8%

جدول يمثل إحصائيات التعليم في المدارس الابتدائية.²

يتجلى بوضوح عند مقارنة الأرقام الاختلال في مبدأ المساواة في التعليم، إذ بلغ عدد المعمرين الأوروبيين في الجزائر 800 ألف نسمة مقابل نحو 8 ملايين جزائري. وكانت نسبة أبناء المعمرين المستفيدين من التعليم الابتدائي تصل إلى 20 بالمائة، بينما نسبة أبناء الجزائريين المستفيدين 0,01 بالمائة، ومن الملاحظ أن الأطفال الفرنسيين في سن الدراسة يقبلون جميعًا في المدارس التعليمية المعتمدة في وطنهم الأم وتوفر لهم كل الوسائل الضرورية لأداء مهامهم، أما الأطفال الجزائريون، فتشير المصادر الموثوقة إلى أنها عندما يبلغون سن الدراسة لا يجدون إلا مقعدًا دراسيًا واحدًا لكل 5 تلاميذ.³

كما كانت هذه المرحلة تعتمد على أسلوب سهل، هدفه تعليم الجزائريين مبادئ أساسية مثل القراءة والكتابة والحساب والتحدث قليلا بالفرنسية، وذلك لإدماجهم في المجتمع الفرنسي.⁴ لكن فرنسا لم تكن تريد تطوير هذا التعليم، وكانت ترى أن تعليم الجزائريين يجب أن يقتصر على مستوى فلاح

¹ - احميدة عميراي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري بداية الاحتلال، دار البعث، الجزائر، 1984، ص44.

² - رابح تركي، المرجع السابق، ص. 148.

³ - العربي الزيري تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص23.

⁴ - محمد بن شوش التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830/1870)، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر، إش:، بن يوسف كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة بن يوسف بن خدة، 2007/2008، ص60.

بسيط يعرف القليل عن فرنسا، دون أن يتعمق أو يتقن اللغة. أما أبناء المستعمرين الفرنسيين، فكانوا يحصلون على تعليم متطور ومميز، يفوق أحياناً حتى على التعليم الذي يتلقاه الفرنسيون في بلدهم، لهذا ضغط المعمرين على السلطات الاستعمارية، فأنشأت لهم مدارس في الجزائر نهاية سنة 1831 واحدة بالعاصمة وأخرى في وهران وعنابة وكانت كلها مخصصة لأبناء الأوروبيين واليهود¹.

وإلى غاية 31 ديسمبر 1881، كان عدد المدارس الابتدائية في الجزائر، عبر القاطعات الثلاث، يبلغ 775 مدرسة عمومية و 141 مدرسة خاصة، أي ما مجموعه 916 مدرسة ابتدائية، وخلال الفترة الممتدة من 31 ديسمبر 1881م إلى 31 ديسمبر 1884، شهد عدد المدارس الابتدائية زيادة ب 130 مدرسة إضافية، حيث تم افتتاح 14 مدرسة جديدة سنة 1882 و 116 مدرسة أخرى خلال عامي 1883 و 1884، في إطار تنفيذ مرسوم 13 فيفري 1883، أما بالنسبة للمدارس الابتدائية الحرة، فقد أرتفع عددها ب 10 مدارس إضافية خلال نفس الفترة².

رغم الارتفاع الملحوظ في عدد المدارس الابتدائية خلال تلك الفترة، إلا أن حصة الجزائريين المسلمين من هذا التوسع طلت محدودة، فقد كان نصيبهم ليتجاوز 21 مدرسة ابتدائية من أصل 789 مدرسة، ولم يتجاوز 31 مدرسة فقط من مجموع 905 مدارس، مما يعكس التمييز الصارخ الذي تعرض له السكان في مجال التعليم آنذاك³.

اتسم خطاب السلطان الاستعمارية في الجزائر بطابع تمييزي واضح لصالح المستوطنين الأوروبيين. فقد بذلت هذه السلطات جهوداً كبيرة لإنشاء جامعة في الجزائر العاصمة لخدمة المعمرين، دون أن تتيح للجزائريين المسلمين فرصاً متكافئة لمواصلة التعليم العالي⁴. ووفقاً لما ذكره ليروي بولير، فإن الميزانية

¹ - محمد بن شوش المرجع السابق، ص 61.

² - Gouvernement Général civil de L'Algérie, Statistique générale de L'Algérie années 1882 à 1884 imprimerie de L'association ouvrière, L'algérie, p 243

³ - Ibid. .p 245

⁴ - أمحيدة عميرواي، فواصل في الفكر والتاريخ دار البعث، قسنطينة، 2002، ص 102

الاستعمارية في الجزائر كانت تتراوح بين 27 و28 مليون فرنك، إلا أن نصيب التعليم المخصص للجزائريين المسلمين لم يتجاوز 74 فرنك فقط.¹ ولتوضيح حجم التمييز الذي مارسه لجان البلديات المختلطة يمكن الاستشهاد بما حدث في بلدية تيزي وزو، حيث بلغ عدد السكان الجزائريين 27,865 نسمة، مقابل 1,129 مستوطنا فرنسيًا، ورغم أن مساهمة الجزائريين في الميزانية بلغت 220,000 فرنك، أي أكثر من 19 ضعفًا مقارنة بالفرنسيين، فإن معظم هذه الأموال تم توجيهها لخدمة المعمرين، إذا فتحت أربع مدارس لصالح أبنائهم، في حين لم يفتح للجزائريين سوى مدرسة واحدة فقط.²

ب. التعليم الثانوي:

يعد التعليم الثانوي مرحلة حاسمة تأتي بعد التعليم الابتدائي حيث شكل جسرًا بين التعليم العالي وسوق العمل. فهو يهدف إلى تزويد الطلاب بثقافة عامة تؤهلهم لتولي مهام التأطير وقيادة المجتمع. لهذا السبب، شهدت بداية القرن العشرين، وقيل سنة 1944 تحديدًا، تضاعفًا ملحوظًا في عدد طلاب التعليم الثانوي والحاصلين على شهادة البكالوريا، ما أثار قلق المستوطنين وحيرتهم.³

وخلال الحقبة الاستعمارية، ظل التعليم الفرنسي، وخاصة في المرحلة الثانوية، خاضعًا لتمييز اجتماعي شبه مؤسسي استمر حتى الإصلاحات التي أقرتها الجمهورية الخامسة. وكان أبناء العائلات الأوروبية والبرجوازية وحدهم تقريبًا يتمتعون بمسار تعليمي كامل، من الأقسام التحضيرية إلى الحصول على شهادة البكالوريا مما جعل من التعليم رمزًا واضحًا لامتيازهم الطبقي. وقد صمم التعليم الثانوي وفق هذا المنظور ليخدم أبناء المستوطنين الأوروبيين وقلة من أبناء النخب المحلية المرتبطة بالاستعمار.⁴

¹ - Bordier, La colonisation scientifique et les colonies françaises Typographie Schmidt, paris, p190.

² - عثمان زقب، التمييز بين الأوروبيين والجزائريين بالبلديات المختلطة، مجلة البحوث التاريخية، م05، ع02، ديسمبر 2021، ص309

³ - غي برفلي، النخبة الجزائرية الفرانكفوني (1880.1962)، تر: حاج مسعود وآخرون دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص35

⁴ - غي برفلي، المرجع السابق، ص.35

وفي ظل الحكم الاستعماري الفرنسي، كان يسمح لأبناء المستوطنين الفرنسيين يرون أن مثر التعليم الثانوي بين الجزائريين قد يزرع فيهم التمرد ضد فرنسا، وهو ما يتعارض مع مصالحها الاستعمارية. ولهذا عبر المندوب "باريديات" عن موقفه قائلاً "مصلحتنا تقتضي أ، تكون طبقة برجوازية محافظة من التجار وصغار الملاك، حتى لا يزيد عدد الثائرين "بناء على ذلك، شجع على نشر التعليم الابتدائي بمستوى عالي، بينما حورب تعميم التعليم الثانوي بين أبناء الجزائريين¹. كما فكرة منظري الاستعمار إلى تنظيم التعليم الثانوي أولاً، إدراكاً منهم لأهمية تكوين نخبة مثقفة قادرة على التأثير في المجتمع المحلي وتوجيهه بما يخدم مصالح الاستعمارية. فقد رأى الاستعمار أن السيطرة العسكرية والإدارية وحدها غير كافية لضمان الهيمنة الدائمة، بل لابد من نشر ثقافة جديدة تساهم في تكييف السكان مع النظام الاستعماري. ومن هذا المنطلق تقرر سنة 1857 إنشاء الثانوية الغربية الفرنسية في الجزائر العاصمة، كمؤسسة تعليمية تهدف إلى تكوين جيل مزدوج الثقافة، متمكن من اللغة العربية والفرنسية معاً. ليصبح همزة وصل بين الإدارة الاستعمارية والجماهير الجزائرية².

ولم تقتصر الجهود الاستعمارية على إنشاء الثانوية العربية الفرنسية فحسب، بل امتدت إلى تأسيس مدارس أخرى في مدن مختلفة مثل: البليدة، سعيدة، تلمسان، وسكيكدة. وتجدد الإشارة إلى أن التعليم في هذه المؤسسات لم يكن مجانيًا، مما حد من استفادة الفئات الفقيرة. أما اللغة العربية، فقد كانت مكانتها هامشية للغاية داخل هذه المدارس إذا كانت البرامج التعليمية المطبقة مماثلة إلى حد كبير للبرامج المعتمدة في فرنسا. مما ساهم في تعزيز الطابع الفرنسي على حساب الهوية الثقافية الجزائرية³.

كان التعليم الثانوي يهدف إلى تقديم ثقافة عامة للطلاب لتكوينهم بينما يخدم الاستعمار. ومع ذلك، كان عدد الجزائريين قليلاً مقارنة بالفرنسيين، إذا كان هناك تلميذ جزائري مقابل 6 فرنسيين، وفي

¹ - شارل رويير أجبرون، الجزائريين والمسلمون، ج2، ص590.

² - الطاهر عمري، مراكز الثقافة في الجزائر بين المقاومة والتكيف (1839, 1900)، مجلة الدراسات الأدبية والإنسانية، ع01، قسنطينة، 2004، ص

³ - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، ص295.

شهادة البكالوريا ناجح جزائري مقابل 7 فرنسيين¹. وفي سنة 1876 بلغ عددهم 226 تلميذاً، لكنه تراجع إلى 101 تلميذ سنة 1886. وهذا الانخفاض يعود إلى اقتصار التعليم على أبناء العائلات الموالية لفرنسا، بينما حرم المعارضون من مواصلة دراستهم، والجدول التالي يوضح ذلك.²

السنة	المؤسسة	الأوروبيين	الجزائريين
1897	الثانويات	1691	52
1898	الثانويات	1665	40

ج. التعليم العالي (الجامعي):

لم تبدأ مسيرة التعليم العالي في الجزائر مع تأسيس الجامعات سنة 1909، ولا مع صدور قانون 20 سبتمبر 1879 الذي أقر إنشاء ثلاث مدارس عليا للآداب والحقوق والعلوم، بل تعود جذوره إلى مرسوم 4 أوت 1847 الذي نص على تأسيس مدرسة تحضيرية في الطب والصيدلة، وهي المبادرة التي تم تجسيدها فعليا سنة 1849.³ وأرتبط تطور التعليم العالي في الجزائر خلال القرن 19 بإزدهار الأبحاث العلمية تحت إشراف الإدارة الاستعمارية، حيث ساهمت الاستشراف، والاهتمام بالمخطوطات، وتطور الأبحاث الطبية من خلال الجهود الفكرية للحد من الأمراض المنتشرة في الجزائر والبحوث في مجال الآثار والبيئة إلى جانب الحاجة لتسوية التباين بين القانون الفرنسي والتشريع الإسلامي، في نشأة هذا التعليم وتطوره.⁴

¹ - عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية (1872, 1962)، ثقافة إيديولوجية المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ط2، 1995، ص35

² - أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص296

³ - paolilours, **L'enseignement supérieur à Alger**, revue africaine, n°49, 1905, p400.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص437

كما كان التعليم العالي في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية موجهًا بالأساس إلى الفرنسيين، فيما لم يتح للجزائريين سوى فرصة محدودة للالتحاق به. وحتى الذين تمكنوا من ذلك، كانوا إما من الفئات المسورة أو ممن خدموا مصالح الاستعمار. ومع مرور الزمن، ورغم تزايد عدد الطلاب الجزائريين، ظل حضورهم ضعيفًا، إذا لم يتجاوز 5% من مجموع طلبة جامعة الجزائر إلا بعد الحرب العالمية الثانية، ولم ترتفع نسبهم إلى حدود 10% إلا في أفضل الأحوال.¹

أصدرت الإدارة الاستعمارية الفرنسية مرسوم بتاريخ 16 جوان 1868 نصّ على إنشاء معهدين إضافيين للتعليم، أحدهما بمدينة قسنطينة ولآخر بوهرا²، وقد شهد معهد قسنطينة منذ تأسيسه تطورا تدريجيا في عدد المسجلين، إذ بلغ عدد الطلبة سنة 1868 نحو 156 طالبا، من بينهم 115 جزائريا و41 أوروبيا. وبحلول سنة 1870، ارتفع العدد الإجمالي إلى 205 طلاب، توزعوا بين 116 جزائريا و89 أوروبيا، رغم تفوق العنصر الجزائري عدديا، فإن الإقبال على التعليم من طرف السكان المحليين ظلّ محدوداً نسبياً، وهو ما يُعزى إلى الفجوة القائمة بين السياسات التعليمية الاستعمارية احتياجات المجتمع الجزائري.

فالإدارة الاستعمارية لم تبق على مراكز التعليم التي كانت لدى الجزائريين ومنعتهم من إنشاء مدارس خاصة بهم، وحرمتهم من الدراسة في مدارسها وجامعاتها، وإن سمحت لهم فإن ذلك بنسبة ضئيلة جدا بهدف خلق طبقة موالية لهم³، وهذه النسبة الضئيلة تقلص التدرج في الأطوار التعليمية.

وعموما فإن الذين سمح لهم بالدراسة لا يتجاوز 80% من الجزائريين، وتقل هذه النسبة في المستوى الثانوي، وتكاد تنعدم في الطور الجامعي، في وقت كان يسمح لكل أبناء المستوطنين بمزاولة دراستهم، وتوفير كل الشروط الضرورية لهم.⁴

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 177

² - المرجع نفسه، ص 57

³ - محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج. 1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 21

⁴ - يحي بوعزيز، المرجع السابق ص 25-26.

المبحث الثالث: التمييز العنصري في التوظيف الأجور:

لم تقتصر السياسة الاستعمارية على تجريد الجزائري من ممتلكاته ومصادر رزقه بل امتد إلى حرمانه من فرص العمل. وإن سمح له بالتوظيف، فقد كان محصورا في الأعمال الشاقة والمهملية من قبل المستوطنين. ففي الأرياف انتزعت منه أرضه ليغدو خماسا أو أجييرا موسميا لدى المعمرين.¹ أما في المدن. فقد استبعد من الوظائف الإدارية واقتصر توظيفه على المهن الدنيا التي يتجنبها المستوطن وغالبا ما كان ينتظر طويلا من أجل أجر زهيد لا يسد رمقه. وقد أدت هذه السياسات إلى تفشي البطالة والفقر، تحول الجزائريين إلى متسولين ومحرمين في وطنهم.²

وكانت هناك تفرقة واضحة وتمييز صارخ في العمل، حيث كانت أجور الجزائريين أقل بكثير مقارنة بما يتقاضاه الأوروبيين مقابل أداء نفس المهام، كان أن فرص الترفيه كانت محصورة على، وهو ماساهم بشكل كبير في تفشي الفقر وانتشار البطالة في صفوف الجزائريين.³ كما شهدت المدن الجزائرية خلال الاستعمار الفرنسي ممارسات تمييزية تمثلت في الإقصاء الاجتماعي والتهميش السكاني، حيث خصصت الأحياء الراقية للمستوطنين، بينما عانى الجزائريون من السكن في أحياء تفتقر للبنية التحتية كما ركزت السياسات الاقتصادية على استغلال الثروات الجزائرية لصالح فرنسا، دون اعتبار لحاجات السكان المحليين.⁴

1. البطالة ومصادرة أملاك الجزائريين:

خلال ثورة المقراني سنة 1871، زادت معاناة الجزائريين بسبب توسع الاستعمار الفرنسي واستيلائه على أراضي الفلاحين. فقد أصدرت فرنسا قوانين جعلت من السهل أخذ أراضي الجزائريين، خاصة إذا لم يستطيعوا دفع ديونهم، وكانت نسب الفائدة على هذه الديون عالية جدًا، تصل أحيانا من 20% إلى

¹ - محمد العربي الزبيري المرجع السابق، ص 17.

² - Gendarme, **L'économie del'Algériesous-développement et politique de crissance**, paris, 1960, p39.

³ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال دار القصة للنشر، حيدرة، الجزائر، 2005، ص 75.

⁴ - المرجع نفسه، ص 68، ص 75

200%¹ في عام 1871، صادرت الإدارة الفرنسية حوالي 600 ألف هكتار من أراضي الجزائريين، ووزعتها على الأوروبيين، كما فرضت غراماتي كبيرة على السكان وصلت إلى 100 مليون فرنك فرنسي.² وفي الفترة ما بين 1891-1900، منحت فرنسا أكثر من 120 ألف هكتار من الأراضي للمستوطنين الأوروبيين، وبذلك، وصل مجموع الأراضي التي استولى عليها الاستعمار ووزعها على الأوروبيين من 1871 إلى 1900 حوالي 687 ألف هكتار.³ بالإضافة إلى سياسة اغتصاب الأراضي التي انتهجتها سلطات الاحتلال حول الفلاحون الجزائريون الذين كانوا قبل الاستعمار مُلاكًا ويشكلون الأغلبية العظمى من السكان، إلى مجرد عمّال موسميّين أو خماسين يعملون بأجر زهيد، أو إلى أفراد عاطلين عن العمل تماما، ليجدون سبيلا للعيش سوى التسول أو الاعتماد على ما تجود به الأرض.⁴

كما قامت الحكومة الفرنسية تحت ضغط المستوطنين، على الاستيلاء على الممتلكات الخاصة للجزائريين، دون تعويض في الغالب. ففي سنة 1931 كانت من بين 5 آلاف عمارة في مدينة الجزائر حيث تعود ملكية 3 آلاف إلى منها الدولة بعد أن كانت ملكا للجزائريين. وقد ألحق ذلك ضررا بالغا بمن كانوا يعيشون من عائدات الإيجار ويذكر المؤرخ "ليسييس" أن الأهالي الذين تجردوا من ممتلكاتهم دون تعويض بلغ بهم البؤس حد التسول.⁵ وبعد الحرب العالمية الأولى ازدادت ملكية الأوروبيين للأراضي في الجزائر بشكل ملحوظ، في حين بقيت ملكية الجزائريين محدودة، وذلك نتيجة لعدة عوامل أهمها قلة

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، ج1، تر: محمد المعراجي، طبعة خاصة، منشورات PENA، وزارة المجاهدين، ص 227-228.

² - أحمدية عميرواي وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر طبعة خاصة، الجزائر، 2007، ص 53.

³ - شارل رويير أجيرون، تاريخ الجزائر ال معاصر 1871-1954، تر: عيسى عصفور، عويدات، بيروت، 1982، ص 87.

⁴ - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 17.

⁵ - مصطفى لأشرف، المرجع السابق، ص 202.

رؤوس الأموال لدى الجزائريين وارتفاع أسعار الأراضي التي كان يفرضها الأوروبيون مما حال دون تمكن الجزائريين من شراء المزيد منها.¹

2. انتشار البطالة وقلة فرص العمل:

تم استغلال الفلاحين الجزائريين خلال فترة الاستعمار الفرنسي، حيث بدأوا كخماسين يعملون في أراضي المستوطنين الأوروبيين، الذين كانوا يفضلون العمالة الأجنبية. ومع مرور الوقت خصوصا خلال عهد الإمبراطورية الثانية أشتغل الجزائريين كأجراء موسمين في حصاد الزراعة الدائمة لكن بأجور متدنية. وفي بداية القرن 20 شكل الملاك ومربو المواشي نحو 52 من الفلاحين الجزائريين حيث يمثلوا الخماسين 30% والعمال 12% فاستقرت هذه النسبة حتى سنة 193، أما الخماسيون فنزل إلى 18%.² كمالا تجلّى التمييز الصارخ بين الجزائريين والمستوطنين خلال فترة الاستعمار الفرنسي في جميع جوانب الحياة خاصة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي. ففي الوقت الذي استحوذ فيه المستوطنون على أجود أراضي وأصبحوا ملاّكا وأرباب عمل "تحول الجزائريين من ملاك أرض إلى خماسين أو عمال موسمين مستعبدين" حيث بلغ عدد الخماسين أكثر من مليون يعيشون في ظروف قاسية لا تليق بالبشر، ويتقاضون أجورا زاهدة تقع بين 110 و315 فرنك سنويا بينما كان المستوطنون يتمتعون بكل وسائل الراحة أما الجزائري فكان يعمل لساعات طويلة وبأجر لا يتجاوز 10 فرنكات.³

وفي حين كان المستوطن يعيش في رفاهية، بينما العاطلين من الجزائريين في الشوارع يرتدون ثيابا بالية، وأمعائهم خاوية من الجوع جراء السياسة المطبقة عليه. وهذا التمييز العنصري سيد مستعمر وخادم

¹ - حياة ثابتي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الوسط الوهراني 1929-1954، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشر: مخبوت بودواية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر، تلمسان، 2010-2011، ص101.

² - شارل رويير أجيرون، المرجع السابق، ص102.

³ - بشير بلاح، المرجع السابق، ص250.

مستبعد، ساهم في تعميق الوعي الوطني لدى الجزائريين.¹ المحاصيل وبحلول عام 1904 تم استبدال العمال الأجانب بهم فأصبحوا يشكلون اليد العاملة.

وصفت صحيفة "صدى وهران" في سنة 1938، بوضوح عن التمييز الذي كان يعيشه الفلاح الجزائري تحت الاستعمار الفرنسي، حيث كان يعاني من ظروف قاسية تتمثل في العمل لساعات طويلة يوميا، دون أي تعويض عادل، في حين كان المستوطنون الفرنسيون يتمتعون بحقوق كاملة وظروف مريحة، كما كان الفلاحون الجزائريين يعانون من البطالة والتهميش، ويتعرضون للكلام الجارح والمعاملة السيئة والعنف من طرف الكولون والمتعاونين معهم، دون أي حماية قانونية، بينما كانت القوانين والضمانات الاجتماعية تطبق فقط على المستوطنين. كما لم تكن هناك أي جهة رسمية تراقب أجورهم.²

3. تدهور القدرة الشرائية للجزائريين:

تدهورت القدرة الشرائية للجزائريين، بشكل كبير نتيجة السياسة الاستعمارية التي فرضتها فرنسا في الجزائر، حيث عاش الشعب الجزائري في أوضاع اجتماعية مزرية تسبب في تدني مستوى المعيشة، حتى أصبح الفقر يلاحقهم في كل لحظة، وانحصر همهم اليومي في توفير لقمة العيش لعائلاتهم. وفي المقابل، كانت الأقلية الأوروبية تعيش ظروف مريحة، مستفيدة من خيرات البلاد ومتحكمة في الاقتصاد، مما أدى إلى عمق الإحساس بالظلم لدى الجزائريين، فقد رأى الجزائري في هذا الأوروبي سببا مباشرا لتعاسته وشقائه.³ كما كان الفرد الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي ضحية التمييز صارخ في جميع مجالات الحياة، حيث عان من التهميش والحرمان في وطنه، بينما نعم المعمّرون الفرنسيون بخيراته دون وجه حق. فقد عاش الجزائري مضطهدا ليملك سوى الحد الأدنى من مقومات العيش، في حين كان فيه المعمّرون يتمتعون بالسلطة والثروة، ونتيجة مباشرة لسياسة استعمارية ممنهجة هدفت إلى إذلاله وإفقاره. وقد بلغت

¹ - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص 132.

² - بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية...، ج 2، ص 214.

³ - فريشي محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب منذ نهاية الحرب العالمية إلى اندلاع الثورة التحريرية 1945-1954، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: بن سلطان عمار قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 34.

مظاهر هذا التمييز ذروتها سنة 1912 حيث أجتاح الجفاف البلاد، فانخفضت المحاصيل الزراعية بشكل خطير بنسبة 44% بالنسبة للشعير، 41% للقمح، في حين بقي المستوطنون في مأمن من آثارها ومزاد من معاناة الأهالي بفرض ضرائب.¹

كما كانت مداخل الفرد الجزائري خلال الفترة الاستعمارية من بين، أدنى المداخل، حيث اتبعت السلطات الاستعمارية في الجزائر سياسة اقتصادية تهدف إلى منح الجزائريين أجورا زهيدة، خاصة في المناطق الفلاحية، مما ساهم في إثراء المعمرين وزيادة فقر السكان الأصليين. وقد قامت هذه السياسة على مبدأ التفجير الممنهج، إذا لم يكن الهدف تنمية البلاد بل استغلالها. كما كرست السلطات الاستعمارية تمييزا عنصريا واضحا في تحديد الأجور بين العمال الجزائريين والأوروبيين، حيث كان الأوروبيين يتقاضون أجورا أعلى بكثير رغم قيام الجزائريين بمعظم الأعمال الشاقة، حيث يظهر جدول تطور بنية الأجور بين سنتي 1913-1930 وهذا التقارب الكبير بين أجور الطرفين:²

السنة	الأوروبيين	الجزائريين
1913	6 حتى 8 فرنكات	2.05 فرنك
1920	10 حتى 12 فرن	من 5 حتى 6 فرنك
1930	16 حتى 18 فرنك	13 حتى 14 فرنك

جدول يمثل بنية الأجور بين سنتي 1913-1930

رغم أن الإدارة الفرنسية في الجزائر حاولت تعديل الأجور إلا أن ذلك لم يغير شيئا من الواقع الصعب الذي كان يعيشه الجزائريون. فالجزائري كان يعمل من 12 إلى 14 ساعة في اليوم، ويتقاضى بين 390 و 428 فرنك أي حوالي 39 إلى 42 قرشا فقط في المقابل كان العامل الفرنسي أجرا أعلى بكثير لنفس عدد ساعات العمل، حيث كان يحصل على ما بين 890 إلى 1108 فرنكات أي ما يعادل 90

¹ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر المرجع السابق، ص 208.

² - بن داهة عدة، المرجع السابق، ص 412.

إلى 110 قروش. كما أن الأسعار في الجزائر خاصة أسعار الطعام واللباس كانت مرتفعة جدا مقارنة ببلاد المشرق العربي، وهذا يظهر الفرق الكبير بين وضع الجزائريين الصعب ووضع الفرنسيين المريح¹.

كشفت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي عصفت بالجزائر بعد الحرب العالمية الأولى عن حجم التمييز الذي كانت تعاني منه الطبقات الفقيرة، وعلى وجه الخصوص الطبقات المسلمة. فقد ألقت المضاربة وارتفاع الأسعار وضعف الرواتب بثقلها على كاهل هذه الفئات. مما أدى عمق هذا التدهور ظروف خاصة بالجزائر كجفاف عام 1919 الذي أدى إلى تراجع إنتاج الحبوب بشكل حاد وإلى جانب كساد الإنتاج الزراعي، كل هذه العوامل عرّت واقع التمييز الاقتصادي والاجتماعي بين المستوطنين الأوروبيين الذين حظوا بالدعم والحماية وبين الجزائريين المسلمين الجزائريين الذين تركوهم فريسة للفقر والتهميش².

¹ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص131.

² - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، تر: أحمد المعراجي، دار الأمة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص. 24.

الفصل الثالث:

النزعة العنصرية الكولونيالية تجاه المجتمع الجزائري

المبحث الأول: النظرة العنصرية الاستعمارية للمستوطنين من خلال صحفهم.

المبحث الثاني: النظرة العنصرية الاستعمارية للمستوطنين خلال كتاباتهم.

المبحث الثالث: النظرة العنصرية الاستعمارية للمستوطنين من خلال معاملاتهم.

بالإضافة إلى اغتصاب ممتلكات الجزائريين وتفقيرهم وتجريدهم من ثرواتهم، وحرمانهم من التعليم، واستبعادهم من قبل المستوطنين، فقد تعرضوا كذلك للاحتقار ومورس ضدهم مختلف أشكال التمييز العنصري. ويعتدو هذا التمييز جريمة إنسانية وفقاً لكل المواثيق الدولية، التي تعرّفه على أنه شكل من أشكال التفضيل أو الاستثناء القائم على اللون أو العرق أو النسب أو الأصل القومي، ويشمل أيضاً كل اضطهاد أو سيطرة منهجية تمارسها جماعة عرقية ضد أخرى.

المبحث الأول: النظرة العنصرية الاستعمارية من خلال صحفهم.

يظهر الحقد والتعالي والتمييز العنصري من قبل المستوطنين تجاه الجزائريين بشكل واضح في صحفهم وكتاباتهم، حيث تعمّدوا تهميش الجزائري وإنكاره، وإن ذكر فإنما كان ذلك في إطار السخرية والاحتقار والعودة إلى إبادته. فقد كانت غالبية صحف المعمّرين تنتقد الجيش الفرنسي لتباطئه في القضاء على الأهالي، وتعتبر منحهم للأمان جريمة، وتبحث على الإفراط في القتل. عكست هذه الخطابات الإعلامية رؤية استعمارية متطرفة، تهدف إلى تبرير الاحتلال وتصوير الجزائريين ككائنات متوحشة، لا تستحق الحياة، في محاولة لترسيخ صورة مشوهة تبرر العنف الممنهج ضدهم.¹

ومن أبرز مظاهر عنصرية المستوطنين الفرنسيين في الجزائر، كان توظيفهم للصحافة كأداة لنشر خطاب الكراهية والاحتقار تجاه الجزائريين، فضلاً عن استخدامها كوسيلة لمعارضة أي مشاريع إصلاحية كانت تقترحها الحكومات الفرنسية المتعاقبة لتحسين أوضاع السكان الأصليين. فقد اعتبر المعمرون أن هذه الإصلاحات، مهما كانت محدودة، لامتيازاتهم تشكل تهديداً لمصالحهم ومكاسبهم، ورأوا فيها خيانة من صنّاع القرار الفرنسيين الاستعمارية.² فقد أشار المؤرخ "شارل أندري جوليان" إلى أن المعمرين الفرنسيين في الجزائر، كما يتضح من صحافتهم ومحاضر المداولات البرلمانية قبل حرب 1914، كانوا يعارضون بشدة أي إصلاح من شأنه تحسين أوضاع الجزائريين حتى وإن كان بسيطاً. فقد رفضوا توحيد

¹ - محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، ص 88.

² - عزوز ديلمي، وزن المستوطنين في السياسة الاستعمارية، مواقف صحافة مستوطني عمالة قسنطينة بين الحربين العالميتين، مجلة العلوم الإنسانية، ع 37، الجزائر، ص 60-61.

النظام الجبائي، وأصروا على الإبقاء على قانون الأهالي العنصري باعتباره ضرورياً "لضمان الأمن". كما عارضوا منح حق المواطنة للنخب الجزائرية التي كانت تطالب به. وكان أغلبهم يرفض بأن يستمد رئيس البلدية سلطته من أصوات المسلمين، معتبرين أنهم لا يملكون الحق أو الأهلية لحكم أنفسهم أو المشاركة في تسيير الشؤون الإدارية.¹

كما يبرز هذا النص موقف المستوطنين الفرنسيين المتشددون في الجزائر من مسألة تجنيد الأهالي خلال الفترة الاستعمارية، حيث عبروا عن رفضهم الشديد لمشاركة الجزائريين في الجيش الفرنسي، ليس فقط خشية فقدان اليد العاملة الزهيدة، بل أيضاً بسبب مخاوف عنصرية من تنامي وعيهم السياسي والعسكري. وقد عبرت جريدة *La dépêche Algérienne* عن هذا التخوف بلهجة عنصرية حادة، إذا حذرت من "تدريب الرعاع على استعمال البندقية"، ودعت إلى "اجتثاثهم من جذورهم، بل منحهم فرصاً للاندماج أو التطور".² كما صرّح نائب وهران "مارسيل سان جرمان" بتضحيات الأهالي، من خلال مجلس الشيوخ قائلاً: قام الأهالي بواجبهم نحونا، واستحقوا المجازات، ولكن هل من الضروري أن نلجأ من أجل ذلك إلى إجراءات التهور؟³

1- الصحافة الاستعمارية والمشاريع الإصلاحية

أ- من إصلاحات 04 فيفري 1919:

بمجرد صدور قانون 4 فيفري 1919، الذي اقترحه رئيس الوزراء الفرنسي جورج كليمنصو كمكافأة للجزائريين على مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى، غضب المعمّرون وغلاة الاستعمار. فقد رأوا أن هذا القانون يُعطى بعض الحقوق للجزائريين لذلك قاموا بحملة قوية ضده بالغائه.⁴

¹ - شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسيير، الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم، الطيب المهيري، صادق مقدم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 129.

² - *La dépêche Algérienne*, N° 8138, 9 novembre, 1907.

³ - شارل أندري جوليان، مرجع نفسه، ص 30-31.

⁴ - عزوز ديلمى، المرجع السابق، ص 61.

حيث عبرت الجرائد الاستعمارية الصادرة في مقاطعات الجزائريون غضبها من هذا القانون ووصفوه بـ"الغدر والخيانة"، واعتبروا هذا القانون بمثابة تهديداً مباشراً لمصالحهم وامتيازاتهم، كما عبرت جريدة *L'écho d'Alger* في عددها الصادر يوم 28 أكتوبر 1919 عن هذا القانون بأنه سوف يشكل خطر على وجودهم، واعتبرت أن المعمرين سيتوحدون فكرة "الجزائر فرنسية"، متهمة الحاكم "شارل جونار" بالتعاطف مع العرب، كما رأت صحف مقاطعة قسنطينة أن هذا القانون يمس بمصالحهم.¹ حيث كتبت جريدة *Le républicain de Constantine* "جهوي قسنطينة" في عددها الصادر بتاريخ 13 أبريل 1919 أن هذا القانون قد يؤدي إلى تجنيس الجزائريين ومنحهم حق الترشح للمجالس البلدية، هو ما سيؤدي إلى جرب أهلية.²

وقد عبرت جريدة *La Dépêche de Constantine* في عددها الصادر بتاريخ 20 جويلية 1920 عن هذا الموقف بنبرة عنصرية، حيث وصفت الشعب العربي بأنه لا يزال "طفلاً" يحتاج إلى قوانين خاصة، في تبرير واضح للاستمرار الوصاية الاستعمارية.³

كما كتبت الجريدة ذاتها في عددها الصادر بتاريخ 17 جانفي 1920 أن الفرنسيين في هذا البلد لن يرضخوا أبداً لأي تهديد يمس هيمنتهم، وأشارت إلى أن ما يُعرف "بخطر الأهالي" يتمثل حالياً في الإجراءات التشريعية المتخذة على نحو متسرع وبدون تخطيط محكم.⁴

لقد كان المستوطنون على وعي تام بأن التفوق العددي للجزائريين يشكل تهديداً حقيقياً لهيمنتهم على المجالس المنتخبة، وقد عبرت الصحف آنذاك عن استيائها من الحاكم "جونار"، حيث جاء في برقية

¹ - L'écho d'Alger, N° du 28 octobre 1919.

² - Le républicain de Constantine, 13 avril 1919.

³ - La déche de Constantine, N°3269, 20 juillet 1920.

⁴ - La dépêche de Constantine °, 3085, 17 janvier 1920.

قسنطينة في نفس العدد انتقاد واضح لما وصفته "بخطر باريس"، والمقصود به ذلك النهج الذي يستمر في إسناد مسؤولية تسيير شؤون المنطقة إلى أشخاص يفتقرون إلى معرفة بالسكان المحليين وظروفهم¹.

ب-الأزمات الاقتصادية ما بين الحربين (1919-1939)

كانت السلطات الاستعمارية ترى أن الجزائريين الفقراء الذين تضرروا من الأزمة الاقتصادية يشكلون خطراً على المستوطنين، خاصة في المدن، فقد كانوا يخشون من انتقال الأمراض بسبب تأثر الزراعة بالجفاف، ونزوح الجائعين نحو المناطق الحضرية، كما كانوا يتوقعون أن يتحول هؤلاء إلى عصابات للسرقة، واعتبروا أن هجرة سكان الجنوب نحو الشمال يشكل خطراً كبيراً.²

كما تطرقت جريدة برقية قسنطينة إلى موضوع من خلال عناوين تناولت "إنتاج القمح" "غلاء المعيشة"، والتصريحات التي تلت الحرب، وارتفاع تكاليف المعيشة، موجهة اتهامات للتجار باستغلال الأوضاع الصعبة، في المقابل، نشرت صحيفة La Défense du commerce في عددها الصادر بتاريخ 1 فيفري 1923، مقالات تدافع فيها عن التجار. أما السكان المحليون، فلم يتم التطرق إلى معاناتهم من آثار الأزمة، إلا من زاوية اعتبارهم مصدر تهديد محتمل لأمن وسلامة المستوطنين، وتمت الإشارة إليهم بأسلوب ينم عن الشفقة بوصفهم "بالمساكين".³

كما ذكرت جريدة برقية قسنطينة في عددها الصادر بتاريخ 30 أكتوبر 1920، أن تدفق الآلاف من الفقراء نحو قد يشكل خطراً كبيراً ما لم تتخذ تدابير وقائية عاجلة.⁴

ووصفت جريدة La tribune libre في عددها الصادر بتاريخ جانفي 1920 هجرة سكان الجنوب للشمال بخطر الجراد خوفاً من أن يشكلوا عصابات السرقة والنهب، وقد وصفت جريدة "التقدم

¹ - La dépêche de Constantin, N °, 3269, 20 juillet 1920.

² - عزوز ديلمي، المرجع السابق، ص 64.

³ - La défense de commerce, 01 février 1923.

⁴ - La défense de commerce, 30 octobre 1920.

القلمي " de progrès de Guelma في مقال عن غلاء المعيشة، وارتفاع الأسعار تحت عنوان "مسألة العيش في قالمه" كما تعرضت فيه لأسعار الخبز واللحوم وندرة السلع خاصة الخضار.¹

وتعرضت جريدة Les échos l'avenir des Guelma في أعداد كثيرة ولسنوات عديدة للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت عن الأزمة الاقتصادية والتي استمرت من قرن العشرينات الماضي حتى الثلاثينات، حيث تطرقت إلى الضرائب، وغلاء الأسعار، وضعف القدرة الشرائية وانتشار الفقر والبطالة، وجاء في العدد الصادر بتاريخ 26 جانفي 1930 في مقال (pierre ponce) أن الإحصائيات العالمية تعد الطبقة الوسطى من الفرنسيين، من أكثر الدين دفعوا الضرائب على كوكب الأرض.²

وفي العدد الصادر بتاريخ 2 فيفري 1930 وفي العمود الثابت بالجريدة المعنون (dit ce que l'on)، جاء فيه سياق تدمير صاحب المقال من غلاء القدرة الإشتراكية، تنتظر السوق المغطاة احتفالية المؤوبة لتعادها العناية من خلال التنظيف والطلاء، حتى تظهر بمظهر يليق بالمناسبة ويُشرف المارين بالمدينة.³

وقد استمرت المقالات المنشورة في الصفحات الأولى من الصحف في تسليط الضوء على الأزمة الاقتصادية في ارتفاع الأسعار التي امتدت على مدى السنوات. ففي مقال بعنوان " La hausse des pris " ارتفاع الأسعار" نُشرت بتاريخ 05 سبتمبر 1936 في الصفحة الأولى، تناول الكاتب "دير فيل" موضوع الارتفاع المستمر للأسعار، مثيراً إلى عجز الجبهة الشعبية عن السيطرة عليه في ظل تدني الأجور. كما تطرق المقال إلى توجه الحكومة نحو إنشاء تعاوضيات لبيع الحبوب والخضروات، ومحاولاتها لكبح جموح التجار. وأشار كذلك إلى تدهور أوضاع الطبقة الوسطى وفقدانها لتوازنها نتيجة

¹ – Le progrès de Guelma, 19 jeune 1917.

² – Les échos, l'avenir de Guelma, N° ,249, 26 janvier, 1930.

³ – Les échos, l'avenir de Guelma, N° , 250, 02 février 1930.

إغلاق المصانع¹. بالإضافة إلى أكثر من 90% من الجزائريين في فترة ما بين الحربين كانوا عاطلين عن العمل بسبب الأزمة الاقتصادية التي عاشوها، حيث كانوا يسكنون في أحياء قصديرية وأكوخ من طين وأغصان الأشجار، وأطفالهم حفاة الأقدام، ناهيك عن الأمراض والأوبئة كالسل والملاريا والحمى الصفراء².

ج- من إصلاحات بلوم فيوليت 30 ديسمبر 1936:

هو الموقف المتشدد والعنصري الذي اتخذته المستوطنين الفرنسيين في صحفهم تجاه الجزائريين بعد إصدار الإصلاحات التي اقترحها "موريس فيوليت" في 30 ديسمبر 1936 هو رئيس مجلس الشيوخ والمكلف بدراسة شؤون الأهالي إلى إعداد المشروع شمل 8 فصول واحتوى على 50 مادة تناول هذا المشروع جوانب من بينها التعليم، الزراعة والحقوق والواجبات، غير أن هذه الإصلاحات اقتصرت على فئة ضعيفة جداً من الجزائريين³.

في حين رحبت الصحف اليسارية بالمشروع، واعتبرته تطوراً إيجابياً للسياسة الفرنسية تجاه الأهالي، وهو ما أشارت به جريدة L'opinion في عددها 409 الصادر بتاريخ 16 جانفي 1937 "نحن مع المشروع" وانتقد معارضييه، حيث وصفتهم "بالتافهين"⁴ بينما هاجمته الصحف اليمينية للمشروع الإدماجي بشكل عنيف، واعتبروها جريمة تهدد الوطن ومساواة غير مقبولة بين المعمرين والأهالي، حيث صرح "أيميل مورنيو" رئيس بلدية قسنطينة في جريدة "La voix indigènes" في عددها الصادر بتاريخ 23 أبريل 1937 نعم لا بد من منح ترضيات لإخواننا الأهالي، لكن لا شيء في هذا الصدد

¹ - Les échos l'avenir de Guelma, N°56,05septembre 1936.

² - Ageron Charles robert, histoire de l'Algérie contemporaine, édition P.U.F, Paris,1979, P 553.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية (1930-1945)، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط4، 1992، ص ص 18-19.

⁴ - ديلمي عزوز، المرجع السابق، ص68.

يحظى بموافقة السكان الأوروبيين،¹ وفي عددها الصادر بتاريخ 20 جانفي 1937 اعتبرته جريدة "جمهوري قسنطينة" جريمة في حق الوطن.²

وعنونت إحدى الصحف بتاريخ 9 مارس 1938 حيث جاء فيها "هل أصبح الأهالي الجزائريين منتخبين فرنسيين؟" وهذا السؤال طرحته على لسان المستوطنين الذين متخوفين من التصويت لصالح المشروع.³ وفي الوقت الذي ساند الحزب الشيوعي الفرنسي من خلال جريدة "لسان حال الحزب" مضمون المشروع، عبر عن دعمه ومنحت جميع الحقوق الديمقراطية لكل مسلمي شمال إفريقيا⁴، كما عبرت جريدة «Le pionnier» لسان حال فيدرالية الحزب الشعبي الفرنسي عن رفضها للمشروع في عدد لها سنة 1938 وقال "الجزائر كلها ضد مشروع بلوم فيوليت".

وفي السياق ذاته مارس البرلمان ضغوطات كبيرة على مجلس الشيوخ رافضين هذا المشروع وعلى رأسهم "بول كيتولي" نائب عمالة قسنطينة واقترح مشروعاً آخر في 28 فيفري 1938 وهو مشروع مضاد لمشروع "بلوم فيوليت" إلا أنه تكلمة لمشروعه الأول، بالإضافة إلى مشروع "كيتولي" قدم النائب "دوفو" هو أحد نواب بعمالة قسنطينة، وأحد معارضي المشروع "فيوليت" حيث أبدى خوفاً شديداً منه، ثم قدم مشروع آخر في فيفري 1938 إلى مجلس البرلمان يمنح المواطنة الفرنسية للأهالي الجزائريين مقابل شروط تعجيزية.⁵

د- من مجازر 8 ماي 1945:

وفي أعقاب مجازر 8 ماي 1945 التي ارتكبتها السلطات الاستعمارية الفرنسية بدعم من المعمرين ضد الجزائريين، لجأت الصحافة الاستعمارية، مثل صحيفة **La dépêche de**

¹ - La voix indigènes ,23 avril 1937

² - Républicain de Constantine, 20 janvier 1937.

³ - L'humanité, N°, 1399, 15 janvier 1937.

⁴ - La lutte sociale, 26 mars 1938.

⁵ - خميسة مدور، مشروع بلوم فيوليت. إصلاحات ضائعة بين تماطل حكومة الجبهة الشعبية وسلطة اللوبي الجزائري (1936-1938)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات، م2، ع7، قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945، ص 137.

Constantine إلى التعليم الإعلامي وتجاهلت في البداية هذه الجرائم. وعندما تطرقت إليها لاحقاً شوهدت الحقيقة وقدمت تبريرات للقمع الوحشي، ووصفت المنتفضين الجزائريين بأوصاف مهينة كمخربين "وإرهابيين نازلين"، كما أبدت تعاطفاً فقط مع ضحايا المستوطنين، متجاهلة الشهداء من الجزائريين¹.

تناولت الصحافة الاستعمارية في الجزائر، وخاصة منطقة قسنطينة، عن مجازر 8 ماي 1945 بطريقة تظهر مدى تعصب وظلم الاستعمار. فقد استعملت هذه الصحافة سياسة الكيل بالمكييلين، سواء في خطابها الإعلامي أو في وصفها للأحداث وتتبعها، أو في تناولها لآثار المجازر وقد استمرت تغطيتها منذ 9 ماي 1945 وحتى صدور قانون العفو العام في 9 مارس 1946، ومحكمة الجزائريين المتهمين. وخلال هذه الفترة نشرت الصحف مقالات غير موضوعية، لا تراعي مشاعر أو حقوق الجزائريين، واخفت حقيقة ما جرى، كما دافعت عن الاستعمار وغطت على جرائمه، وقدمت الجزائريين كأهمهم المعتدون، وقد تميز تعاطي الصحف المقاطعة الاستعمارية مع الأحداث بتأخر أول مقال عن الأحداث إلى يوم 10 ماي 1945 تحت عنوان "الحاكم العام يحضر تشييع ضحايا مظاهرات 8 ماي 1945".²

وتضمن مقال برقية قسنطينة، وصف لزيارة "شاتينو" الحاكم العام تقديم التعازي لعائلات الضحايا المستوطنين واصفاً الجزائريين الفاعلي "بالإرهاب" و"النازيين"³. وخص الاهتمام بأحداث الانتفاضة بوصف الطرق التي قتل بها الأوروبيين "الضحايا" دون ذكر طرق القمع، واعتبر ذلك "مقاومة" و"احتياطات" و"دفاع"

¹ - La dépêche de Constantine, N°, 3269, 20 juillet 1920, et N° 13163. 10 mai 1945, et N° 13283. 3 juin 1945.

² - La dépêche de Constantine N°, 13163, 10 mai.

³ - La dépêche de Constantine, N°, 13263, 10 mai 1945.

اتسم أيضا الخطاب الصحافي عموماً بالازدواجية في المعايير، إذ أبدا تعاطفاً واضحاً مع المستوطنين الأوروبيين، مستخدماً في تغطيته لأحداث قسنطينية تغييرات مثل "فرنسيون عزل" و "ضحايا أوروبيين" و "محاصرون، ما يعكس انحيازاً في السرد وتجاهلاً لمعاناة الطرف الآخر.¹

ويظهر الإهمال المتعمد لعدد الضحايا الجزائريين، فورد في الصحافة على أنهم في حدود 1200-1500 ضحية، بينما ذكرت السلطات العسكرية أنهم 500 ضحية، وقد بلغ عدد الضحايا من الأوروبيين 102 ضحية، حيث عرضت صحيفة Les échos l'avenir de Guelma في عددها الصادر بتاريخ 2 ماي 1945 تحت عنوان "النصر على النازية"، الفرحة التي غمرت المواطنين ووجود أحداث عنف، كما وصفت الليلة التي أعقبت أحداث 8 ماي 1945 بالهدوء الذي يسبق العاصفة ونسبت "الأحداث الشعبية" للأهالي المسلحين، مواصلة لمساندتها لقرارات الإدارة الاستعمارية، ووصفت عملية تسليح الأوروبيين "بقرار سلطات الواعية".²

أما المستوطنون، فهم في الغالب فئة غير منسجمة، تتألف من أناس ينتمون إلى فئة المتشددین والمنحرفين، هدفهم السيطرة على ثروات وممتلكات الجزائريين. ويعيشون في حالة من التباين بسبب اختلاف مشاربهم، مما حال دون تحقيق الانسجام الكامل بينهم. حتى أصبح الفرنسيون ينظرون إلى الأوروبيين الوافدين من جنسيات بشيء من التعالي والاحتقار.³ وكان من الضروري أن تحرص الإدارة الاستعمارية على توعية المستوطنين الأوروبيين بأهمية المجتمع الجزائري في إنجاح المشروع الاستيطاني، والعمل على تهيئتهم لتقبل العيش المشترك معه، بما يساهم في تسهيل عملية الانصهار التي تصب في مصلحتهم.⁴

¹ - La dépêche de Constantine, N°, 13493, 13 novembre. 1945, P2

² - Les échos l'avenir de Guelma, N°, 12, 9 juin 1945.

³ - محمد نجيب حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عباد وصالح المثلوثي، المؤسسة للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص 81

⁴ - Jean Melia, **le triste sort des indigènes d'Algérie**, mercvre de France, Paris, 1935, P 47.

كما شكل الاستعمار الفرنسي في الجزائر حقبة مظلمة طُبعت بالظلم والاستغلال، حيث أُلقي بالشعب الجزائري في أتون الفقر والجهل، وجعله عاجزاً أمام آلة القمع الاستعمارية. لم يكتفِ المستعمر بذلك، بل سنّ قوانين استثنائية جائرة تخدم مصالح المستوطنين، وتحمي امتيازاتهم على حساب السكان الأصليين، في تكريس واضح للعنصرية والتمييز. وقد أدى هذا إلى احتقار الجزائريين، وانتهاك كرامتهم وحقوقهم الإنسانية، دون اعتبار لقيم العدالة.¹

اعتقد معظم المستوطنين الأوروبيين أن هناك حقيقتان متكاملتان في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بأن لهم حقاً مطلقاً، في امتلاك الأرض والتحكم بمصير البلاد، وفي المقابل، نظروا إلى السكان الجزائريون على أنهم أقل نسبة من البشر، وهذا يعكس الواقع، الآن ثروة المستوطنين كانت تقوم على معاناة الجزائريين.² فلم يكن للإنسان الجزائري في الروايات الصادرة عن المستوطنين الأوروبيين والصحافة العالمية عن صورة الجزائر، صدور حقيقي باسمه أو الملامح الخاصة به، فهو "العربي" أو "القروي" أو "الأهلي". ففرنسيو الجزائر كانوا يعرفون تمام طبيعة الصراع الذي يخوضونه، فهم وجدوا أنفسهم في وسط معادٍ لهم حيث سعوا للسيطرة عليها.³

2- مظاهر النزعة العنصرية الاستعمارية الأوروبية للجزائريين:

تميّز سلوك المستوطنين في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية بنزعة عنصرية رجعية⁴، حيث كانوا يرفضون بشكل قاطع أي شكل من أشكال المساواة مع الجزائريين. لم يعترفوا بهوية الجزائري ولا بوجوده ككيان مستقل، بل عمدوا إلى تسميته بمصطلحات تفرغه من انتمائه الوطني "كالمسلمين الفرنسيين" أو "الأهالي" أو "العرب"، دون أن يطلقوا عليهم يوماً اسم "الجزائريين".⁵

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 16.

² - جان بول سارتر، عارونا في الجزائر، ترجمة عائدة وسهيل إدريس، دار الأدب، لبنان، 1958، ص 56.

³ - محمد حربي، المرجع السابق، ص 95.

⁴ - جريدة المجاهد، الأقليات الأوروبية في الجزائر بين الأمل والعدو، ع 51، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، 21 سبتمبر 1959، ص 6.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 4، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص 83.

وقد تجاوزوا في وحشيتهم حتى الجنرالات الفرنسيين، إذا رأوا في الجزائري مخلوقاً منحطاً لا يستحق الحياة، فجُرد من إنسانيته، وأصبح التمسك بالحياة في نظرهم جريمة تستوجب العقاب وهذا الموقف يكشف عن مدى احتقارهم للجزائريين.¹

أ-الحقد والكراهية وتشويه القيم الأخلاقية والإنسانية للجزائريين:

كان المستوطنون يسيئون معاملة الجزائريين بلا تردد، وكانوا يظهرون لهم الكراهية، ويسخرون منهم حتى في المزاح.² كما أن أحد رجال الدين المسيحيين قد ضحك باستهزاء عندما أخبره أحد المستوطنين بأنه صدم ثلاثة جزائريين بسيارته وقتل أحدهم فقال له ساخراً "يا لك من أحق، لماذا لم تقتلهم جميعاً؟"³. وفي حادثة أخرى نشرتها جريدة "ليكود داو لجيري" بتاريخ 8 مارس 1928، ورد أن عاملاً إسبانياً في منجم قتل عاملاً جزائرياً بسبب دينٍ قدره خمسة وعشرون فرنكاً فقط.⁴

تُعد أشهر نكت مجلة "بابا لويت" الاستعمارية ما نُش في صفحاتها في العدد 19 جانفي 1908، حيث يُطلب من جزائري أن يبحث عن "عريين ليس سارقين" لنقل الغسيل، فيرد "لا يوجد سيدي". تعكس هذه النكتة نظرة استعلائية عنصرية تصوّر الجزائريين كمجموعة غير جديرة بالثقة، وتظهر كيف الفكاهة آنذاك كأداة لتكريس الصور النمطية وخدمة الخطاب الاستعماري، وهي حكاية تعكس سخرية المستوطنين من الجزائريين فالعنصر العربي عندهم كائن منحط فاقد لمعاني القيم الإنسانية.⁵

كما جرى تصوير الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية بصورة مشوّهة، حيث نُسبت إليه صفات تُمس الأخلاق والكرامة، فُوِّصف بأنه عبد لشهواته التي لا تعرف حدوداً، وأن العفة والطهارة أمران

¹ - فرحات عباس، المرجع السابق، ص 83.

² - مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 37.

³ - جريدة المجاهد، العدد 110، بتاريخ ديسمبر 1961، ص 5.

⁴ - فرحات عباس، المرجع السابق، ص 147.

⁵ - Papa louette, journal des sans ; souci, journal satirique, humoristique et littéraire, dimanche 19 janvier 1901, p1.

نادران في أوساطه، خصوصاً في أحياء مثل القصبة. ودّعا الخطاب الاستعماري أن الإسلام إنساناً شهوانياً لا يشغله سوى الجنس¹، وتمادى هذا الخطاب في تشويه صورة الجزائري باتهامه بالشذوذ الجنسي، واعتباره مصدر خطر على الأطفال، ولا سيما الأوروبيين منهم. ولقد رافقت هذه الاتهامات سلسلة من النكت الغامزة التي تعكس حقدهم وكراهيتهم للجزائريين.²

وفي سنة 1909، وصف شاعر أوروبي ساخر الجزائريين بمجلة "بابا لويت" بعبارات عنصرية ناعثاً إياهم بأنهم "عرب خسيسون وكريهو الرائحة" ونشر صورة مهينة عندهم تربطهم بالقذارة والعداوة، حتى طال ذلك المساجد، وهكذا أصبحت كلمة "صال أراب" ملازمة للإنسان العربي القدر، والوسخ المثير للاشمئزاز والتقزز.³

ب- النعوت والكنى التحقيرية للجزائريين:

تعكس نظرة المستوطن الأوروبي الاستعلائية والعنصرية تجاه الجزائري خلال فترة الاستعمار، حيث لا يرى في نفسه رجولة أو تفوقاً إلا إذا كان في مرتبة أعلى من الجزائري، بل يرفض الاعتراف بإنسانية هذا الأخير، فالمستوطن لا يشغله سوى ادلال الجزائريين من خلال القهر والترويض والعقاب، رافضاً أي شكل من أشكال التعايش أو المساواة. وتبلغ هذه النظرة الاقصائية ذروتها عندما يرى أن "هواء الجزائر لم يعد كافياً لاستيعاب جنسين من البشر".⁴

وفي رسالة "ميشال موريل" التي كتبها بجريدة "الإكسپرس" بتاريخ 1959 جاء فيها: "تسألوني هل أوأمن بالديمقراطية؟ أنا لا أتمني ديمقراطيتكم، إنّما أثير الغثيان عندي، ألا ترون إلى أين تفضي بنا

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 78.

² - سعد الله، مرجع سابق، ص 81.

³ - نفسه، ص 76.

⁴ - جون بول سارتر، مواقف مناهضة للاستعمار، ترجمة محمد المعراجي، مر، أحمد المعراجي، المؤسسة للنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص 72.

هذه الديمقراطية ثمانية ملايين من الفئران القدرة والأمية يتحدثون فرنسا"، ليصف دون حياء "لا يمكن لك أن تتركب قطارا لأنه مكتظ بهم، ولا يمكنك يوم 15 أوث أن تتبّع بالبحر لأنه غاص بهم".¹

بالإضافة إلى النزعة العنصرية التي طبعت السياسات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، خاصة فيما يتعلق بالتعليم خلال الفترة 1884-198. فقد عبّر كل من الإعلام والرأي العام حتى بعض النواب الفرنسيين عن رفضهم الشديد لتعليم الجزائريين، خطابات مليئة بالتميز والتحقير.

ويتجلى ذلك في مقال نشرته صحيفة لوراديكال بتاريخ 16 فيفري 1896، حيث وصف العربي بأنه من سلالة منحطة وعاجز عن استيعاب العلوم بسبب "غرائزه حمقه"

¹ - فرحات عباس، المرجع السابق، ص25.

المبحث الثاني: النظرة العنصرية الاستعمارية من خلال كتابتهم وأدبهم.

يتجلى المنظور الاستعماري والعنصري تجاه المجتمع الجزائري بوضوح في الأدب والكتابات الكولونية، حيث سعى العديد من الكتاب والأدباء الفرنسيين والمستوطنين إلى تقديم صورة سلبية عن الجزائريين. فقد صورت أعمالهم الأدبية الجزائريين ككائنات بدائية، غير متحضرة، ومنتمة عرق أدنى غير قادر على بلوغ مستوى التحضر الأوروبي. ووفقا لهذا الخطاب فان السيطرة عليهم لا تتحقق إلا من خلال الإهانة والتخويف إذ يصورون كأصحاب طباع عنيفة لا ينفع معهم سوى القمع ليصبحوا مطيعين ومتمدين.¹

من أمثلة الكتابات الفرنسية عن الجزائر نذكر على سبيل المثال:

1- كتابات لويس برتراند:

يعتبر لويس برتراند* من الكتاب الذين برروا الاستعمار الفرنسي للجزائر بأسلوب أدبي، يبرز اسم برتراند خاصة في روايته "دم الأعراق" وروايته "مستثمرة السيدة بيتيقان" يقدم في أعماله الاستعمار كنوع من الرسالة الحضارية التي تهدف إلى تطوير السكان المحليين، ويظهر الأوروبيين على أنهم أكثر تفوقا وتحضرا، وهو يعكس بوضوح الخطاب الاستعماري السائد في ذلك الوقت. ويجسد هذا الطرح الخطاب الاستعماري الأوروبي القائم على التفوق العرقي والحضاري، حيث صور المجتمع الجزائري كمزيج غير متجانس من الأعراق والأجناس، يعاني من البدائية والتخلف، مما يبرر في نظر المستعمر ضرورة إخضاعه وتمدينه عبر الاحتلال. ويكرس هذا التصور نظرية عنصرية تنكر على الجزائريين أهليتهم في إدارة شؤونهم

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج4، منشورات إتحاد دار العرب، دمشق، 1996، ص 86-94.

* لويس برتراند: ولد في 20 مارس 1866 بفرنسا، توفي عام 1941 درس كأستاذ في مدرسة اكس أون بروفانس في أواخر عام 1889 قرّر الهجرة إلى الجزائر وهو في الثلاثينات من عمره وعمل مدرسا بثانوية بن عكنون، وكان يسكن رفقة والده في آخر الشارع ومنه كان يلاحظ ويراقب ويتأمل الناس فيما يبيعون ويشتررون ويتخاطبون ويتشاجرون ويتأمل ملاحظهم وبنيتهم، وهندسة مساكنهم ومساجدهم وتمكن من أن يتصل بالناس والأشياء في أرض الجزائر، ما شد اهتمامه هو الخليط الإنثي الذي يشكل سكان العاصمة من أه ومختلف الجنسيات الأوروبية وفي هذا الجو كتب روايته: دم الأعراق ومستثمرة السيدة بيتيقان وبعدها ألف عدة كتب وروايات. ينظر: مسعود عوادي، مظاهر النظرة العنصرية الاستعمارية والتفرقة للاستعمار الإستطاني الفرنسي تجاه المجتمع الجزائري، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية.

بأنفسهم وتصورهم كشعوب قاصرة تحتاج إلى وصاية. كما يسعى هذا الخطاب إلى إضفاء شرعية تاريخية على المشروع الاستعماري من خلال ربط الجزائر بحدود لاتينية رومانية مزعومة، في مقابل نفي العمق التاريخي الإسلامي والعربي للمنطقة. ويشيطن الوجود الإسلامي بصفه احتلالا دخيلا تسبب في تدهور البلاد ونشر الكسل والالتكالية ليس فقط عدوا عسكريا، بل أيضا مشروعا ثقافيا أيديولوجيا يهدف إلى إعادة توجيه لصالح سردية التفوق الغربي¹ وفي صورة المستوطن في الخطاب الاستعماري الفرنسي على أنه ممثل لرسالة التمدين، بوصفه الفاعل العقلاني والمجتهد الذي يسعى إلى استصلاح الأراضي وتطويرها، في مقابل " الأهالي " الذين وصفوا بأنهم كثرة غير منتجة بل مخربة للطبيعة والموارد.²

في سياق الخطاب الاستعماري الفرنسي، بارزت رؤية برتراند التي عبّرت عن احتلال فرنسا للجزائر بل استرجاعا لحق تاريخي ضائع، انطلاقا من ادعائه أبأن فرنسا هي الوريثة الشرعية للإمبراطورية التي سبق أن بسطت نفوذها على شمال إفريقيا. ومن هذا المنطلق اعتقد أن استعادة الجزائر ستمنح فرنسا فرصة لبناء شعب جديد متعدد الأعراق والثقافات، قادر على الانصهار في مشروع حضاري طموح يعيد أبحا ماضي الإمبراطورية. وقد تا برتراند في تشكيل هذا التصور بكتابات أستاذة "فلو بير"، وخاصة رواية "صالا مبو" التي استلهم منها رموز الماضي وأساطير المؤسسة ليضفي على المشروع الاستعماري طابعا ملحيميا يمجّد القوة والمغامرة والفتح. في هذا الإطار صوّر المستوطن الأوروبي كبطل حضاري يقوم عملية الإخلاص.³

لقد اختار برتراند لويس أسلوبا واقعيا في كتاباته، لكنه يختلف عن الواقعية النقدية والطبيعية، لأنه هدفه لم يكن عرض الواقع كما هو، بل وصفه بتفاصيل دقيقة كما يريد إيصال أفكار معينة والدفاع

¹ - Luis Bertrand ,Le sang des races, L'hamattant,Paris,2016,p3,p18-19. -

² - Luis Bertrand ,Le sans des races, L'hamattant,paris,1912,p5,p205,p206.

³ - الطيب بودر بالة، صورة الجزائر في الروايات الفرنسية الحديثة، مجلة العلوم اللغة العربية وآدابها، مج 2، ع2، 2010، ص12، ص13.

عن مواقف فلسفية واضحة. كان برتراند يستعمل هذا التأثير على فئات كبيرة من الناس، ونشر آرائه الأيديولوجية.¹

2- نظرة ألكسيس دي توكفيل الاستعمارية من احتلال الجزائر:

من بين أشهر المؤلفين الذين ذاع صيتهم بفضل مؤلفه الشهير "الديمقراطية في أمريكا" الذي دافع فيه عن الحرية وندد بالاستبداد. غير أنه أظهر تناقضا واضحا عندما تعلق الأمر بالاستعمار الفرنسي للجزائر. ففي حين مجد النظم العادلة في أمريكا وأوروبا الغربية، تبنى في كتاباته عن الجزائر أفكارا تروج لتفوق العرق الأوربي، مبررا استعمار الشعوب التي وصفها بـ "المتخلفة" بل إنه دعا صراحة إلى ترسيخ الاستيطان الفرنسي في الجزائر، وطرح سياسات تهدف إلى إحكام السيطرة وفرض الهيمنة من خلال سلب أراضي وممتلكات السكان المحليين لصالح المستوطنين واعتبر أن السيطرة العسكرية وحدها لا تكفي. بل يجب دعمها باستيطان دائم يضمن تفوق المجتمع الأوربي على حساب المجتمع الجزائري. وتركز هذه الرسالة على توضيح مرحلة الاستيطان وسبل تنفيذها مع التأكيد على ضرورة استخدام كل الوسائل الممكنة لتحقيق هذا الهدف، بما في ذلك اللجوء إلى العنف والحرب والتميز إذا تطلب الأمر.²

نظر ألكسيس دي توكفيل إلى الجزائر من منطلق قناعاته الدينية والسياسية فرأى في شعبها أمة متأخرة وغير متمدنة، لا تستحق في نظره سوى أن تخضعها فرنسا المتحضرة بقوة السلاح بقوة السلاح والمكر، مدعية نشر الحضارة بينما كانت في الواقع تمارس الاستعمار باسم التمدن.³ وهو طرح لا يخرج عن الإطار العام الذي تبناه غيره من مؤيد التوجه الاستعماري العنصري من كبار السياسيين والعسكريين والمستوطنين في المملكة الفرنسية.⁴

¹ - الطيب بودريالة، المرجع السابق، ص 14.

² - Alescis De Tocqueville, Ouvres, Paris, 1866, p307-p43.

³ - Ibid, p439-438.

⁴ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص-314 ص274.

ويتضح من أيضا أن نظرة المستوطن للمجتمع الجزائري من خلال كتاباته كانت مشحونة بالاحتقار والتكبر، تغلب عليها نزعة عنصرية واضحة، بلغت ذروتها في إطلاق أحكام جاهزة وشاملة، لا تفرق بين فرد وآخر، بل تعمم صورة سلبية واحدة على جميع الجزائريين دون استثناء.¹

وقد انعكست نزعة التمييز والتفوق العرقي ذاتها والكتابات التاريخية والأنثروبولوجية للمستوطنين، حيث صوّر المجتمع الجزائري كمجتمع بدائي وهمجي لا يستحق سوى الإخضاع والترويض وهي أطروحات لم تكن بريئة، بل خصصت لتبرير ممارسات العنف والقمع التي استهدفت الجزائريين ومحاولة إضفاء شرعية على سياسات الإبادة والتهميش التي طالتهم.²

بالرغم من اهتمام توكوفيل الكبير بموضوع الجزائر، يند بنفس الوضوح والجسم في الكتابة عنها كما فعل في تناوله لأمريكا وخلال مشاركته في الانتخابات التشريعية لعام 1837 كتب رسالتين عن الجزائر أبان فيها عن كفاءته السياسية ونظريته الاستراتيجية كرجل دولة. وبعد مرور سنوات سافر رفقة زميله بومو إلى الجزائر بين شهري ماي وجوان 1841³، حيث عبّر عن رفضه لمعاهدة التافنة الموقعة مع الأمير عبد القادر. كان يعتقد أن القبائل ستخضع تدريجيا في الحضارة الفرنسية سيندمجون مستقبلا ليكونوا شعبا موحدا. غير أن الإسلام، في نظره كان يشكل العقبة الأساسية أمام هذا المشروع. وقد نال دعما من توكوفيل الذي أيد فكرة استعمار الجزائر، وسعى إلى تبرير ضرورة استمرار الوجود الفرنسي فيها.⁴

تكمن المفارقة في أن المبادئ التي تبناها توكوفيل في مؤلفه الديمقراطية في أمريكا، وخصوصا رفضه القاطع للعبودية، تتناقض بشكل لافت مع موقفه المؤيد لاحتلال الجزائر، وهو موقف قد يعزى إلى تغليب المصلحة الوطنية الضيقة أو السياسة لتبرير مواقف تتنافى مع القيم الأخلاقية التي كان ينادي

¹ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص90- ص94.

² - فيليب لوکا، جون كلود فاكان، جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص90.

³ - Alexis De Tocqueville, OP.Cit,p10.

⁴ - Houant Georges pierre ,Tocqueville et L'Algérieniste43,1988,p82.

بها،¹ وعلى الرغم من أن توكوفيل يقر بأن حال الجزائريين المسلمين قد ازداد سوءا بفعل الوجود الفرنسي، إلا أنه لم يقف عند حدود الإدانة أو النقد، بل سعى إلى البحث عن سبل التي تمكن فرنسا من تحويل وجودها في الجزائر إلى مناسبة للاحتلال. فقد كان من أكثر المتحمسين لفكرة الاستيطان، ومن أبرز المدافعين عن المستوطنين، داعيا إلى توفير الشروط اللازمة والمحفزة لاستقرارهم بالجزائر. واعتبر أن احتفال فرنسا بالجزائر دخل في إطار المصلحة الوطنية العليا، إذ لم ير في المستعمرات مصدرا للفائدة الاقتصادية فحسب، بل ركز على بعدها الاستراتيجي. وكان من المؤمنين بضرورة استخدام القوة لإخضاع الجزائريين، معتبرا الحرب تجسيدا للسياسية القوة، والوسيلة الانجح لتحقيق طموحات فرنسا التوسعية. كما اعتقد أن التي من شأنها التضييق على القبائل ينبغي استعمالها، ما عدا تلك التي تبنتها الإنسانية ومبادئ حقوق الشعوب.²

لم يكن ألكسيس دو توكوفيل من معارضي الاستعمار الفرنسي للجزائر، بل كان أحد أبرز منظريه وادعائه. فقد لعب دورا إرشاديا في توجيه السياسات الاستعمارية، خاصة تلك المرتبطة بالاستيطان الواسع وتقسيم مدى قابلية المناطق الجزائرية للاستغلال الاقتصادي. وبفضل معرفته العميقة بالشؤون الجزائرية، اعتبر أن فرنسا لا تواجه جيشا نظاميا، بل مجتمعا كاملا متماسكا، مما يفرض ضرورة فهم هذا المجتمع، من حيث نقاط قوته وضعفه وبناء القبيلة.

ورأى توكوفيل أن الطبيعة المتحركة لقبائل الجزائر تعقد من مهمة السيطرة الاستعمارية، كما أن وعورة التضاريس وغياب الطرق المعبدة صعب استخدام المدافع، مما اضطر الفرنسيين إلى الاعتماد على الهاونات.

وفي رؤيته الاستراتيجية اعتبر توكوفيل أن البحر الأبيض المتوسط ليس مجرد مجالا جغرافيا، بل هو قضاء سياسي حيوي يمكن لفرنسا من خلاله تعويض ضعفها في القارة الأوروبية. لذلك كان من أشد

¹ - Alescis Tocqueville, OP.Cit,p15.

² - عبيد بوداود، ألكسيس دي توكوفيل قراءة في بعض أفكاره ومواقفه، مجلة القرطاس، ع2، جامعة معسكر، جانفي 2015 ص 199.

المتحمسين لتبني الوجود الفرنسي في الجزائر، داعيا إلى تحسين أوضاع المستوطنين على المستويات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، لضمان بقائهم وتحقيق مشروع الاستعمار طويل الأمد.¹

يعد عمل توكفيل الذي خصصه للحدث عن الجزائر، عملا داعما لأطروحات صديقه الجنرال موريس، ومن هذا المنطلق فإن توكفيل كان من دعاة الحرب الذي رأى فيها دواء لا غني عنه، ومن مؤيدي الغزو بوصفه وسيلة لا مفر منها وبذلك تندرج نظريته ضمن الرؤية الإمبريالية التي تبرز السيطرة على إفريقيا وتصورها كمهمة حضارية لا بد من إنجازها. والاحتفاظ بإفريقيا بفضل التعاون الطوعي والدعم من قبل السكان الأصليين ليس سوى حلم نبيل بداعي خيال دوي القلوب الطيبة والسخية لكن يفتقر إلى أي سد واقعي. فقد أكد دي توكفيل أنه لا وجود لوسيلة فعالة لتحقيق وسيلة ذلك سوى الحرب.²

كما دعا توكفيل إلى الفصل العرقي داخل الجزائر، وهو ما تجلى لا حقا في النظام التشريعي المزدوج يفصل تماما بين السكان الأصليين والأوروبيين. ففي نظره لينبغي لمعانة الأوروبيين لغيرهم بل يجب سن قوانين خاصة بهم تطبق عليهم دون غيرهم. وهو ما تحقق فعليا في تشريع عامي 1870 (مرسوم كريميو) الذي منح الجنسية الفرنسية في حين بقي الجزائريين المسلمون محرومين منها، أو كمنصفين وكمواطنين من الدرجة الثانية.

يرى توكفيل أن المجتمع الجزائري في حالة وسطى بين البداوة والحضارة، ويؤكد أن له حضارة متميزة وواضحة المعالم، بدليل امتلاكه لمؤسسات متعددة سواء الدينية أو التعليمية كانت تهدف إلى تلبية الحاجات الاجتماعية وتنظيم شؤون الحياة العامة. ويشير إلى أن الاستعمار الفرنسي مند بداياته لم يكتف بالسيطرة السياسية والعسكرية بل مد يده إلى المؤسسات الاجتماعية والدينية في الجزائر، خاصة الأوقاف التي كانت تمول التعليم والخدمات الخيرية. فقد استولى الفرنسيون أي مداخل هذه المؤسسات

¹ - عبيدة بداود، المرجع السابق، ص 199.

² - فرنسوا مسيروا، سانت أرنوا أو الشرف الضائع، تر: أحمد بكلي، مر: مسعود حاج، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005، ص 180.

وغيروا وجهتهم، فبدل أن تواصل دورها في خدمة المجتمع، وجه جزء كبير منها إلى الأعراف تخدم الإدارة الاستعمارية مما أدى إلى تطيل المدارس الدينية والمؤسسات الخيرية، وترك فراغا كبيرا في البنية الاجتماعية الجزائرية.¹

وقد صرّح توكفيل لقد أوضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الأملاك والأوقاف أي أن فرنسا خلال استعمارها للجزائر، استحوذت ممتلكات الأوقاف وغيرت وجهتها الأصلية التي كانت مخصصة للأعمال خيالية تعليم ديني. فقد عطلت المؤسسات الخيرية وأهملت المدارس والندوات العلمية، مما أدى إلى إنتظارها، كما حرص دي توكفيل خلال زيارته المتكررة إلى الجزائر، على جمع الوثائق الضرورية وتدوين ملاحظاته بدقة عن مشاهداته ولقائته مع الجنرالات الفرنسيين وغيرهم. ولم يكتفي بذلك بل إنكبى على دراسة القرآن وانتهى بهم الأمر إلى قناعة بأن الاستعمار ضروري لضمان الهيبة والتوسع الفرنسي، لادعيا إلى إنشاء مستعمرات في كل مكان، تهجير السكان، واستيلاء على أراضيهم معتبرا أن مكانة فرنسا العالمية يجب أن تكون المعيار الأساسي في تحرير سياسات الاستعمارية.²

ومن بين الملاحظات المهمة التي دونها في رسالته الثانية، أشار توكفيل إلى جهل فرنسا بطبيعة الواقع الجزائري، وتعدد الأعراق واللغات والشعوب فيه، وقد أقترح إنشاء دولة موالية تعمل لصالح فرنسا في الجزائر، تجنباً للفوضى أتيح عن انقسامات القبائل وصراعاتهم ورغم دفاعه عن الاستعمار أقر دي توكفيل بوجود تنقضات مشيرا إلى أن المشروع الاستعماري الفرنسي كان يصطدم بثلاث عقبات رئيسية:³

* سيطرتهم على الأنديجينا حدود هذه السيطرة وسائلها ومبادئها.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث، 1830-1954، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 283.

² - Alescis De Tocqueville Seconde lettre sur L'Algérie, Ed : Eirem, Bejaia, Alegria, 2006, P87.

³ - حسونة المصباحي، ألكسيس دو توكفيل، استعمار الجزائر، مثال من جريدة الشرق الأوسط الإلكترونية، ع8292، أوت2001.

*إدارة الأوروبيين حدودها وطوابعها.

*الإستيطان، مكانه أشكاله طرقه إذ كان يرى أنه كلما منحت الفرصة لمعرفة البلاد وسكانها الأصليين فتظهر ملحة الفائدة والحاجة إلى استقرار الشعب الأوروبي في أرض إفريقيا.¹

• الوثيقة الثانية: عمل عن الجزائر 1841.

يختلف أسلوب الرسالة الثانية عن الجزائر 1837 عن أسلوب عمل عن الجزائر 1841 من حيث حرص فرنسا على ترسيخ بقائها في الجزائر لتفادي أي تفكير مستقبلي في مغادرة الجزائر ستعد هزيمة سياسية وعسكرية، تضعف مكانتها أمام بريطانيا وتظهرها بمظهر الدولة عاجزة عن الحفاظ على مستعمراتها مما يطعن في شجاعتها وهيبتها الدولية.² ومن المنطلق، سعت فرنسا إلى إبراز المكاسب الإستراتيجية من الاحتفاظ بالجزائر، مؤكدة أن السيطرة المحكمة على هذا الساحل الإفريقي ستمنحها نفوذا واسعا وتأثيرا أكبر في السياسات العالمية.³

3-المقاومات الشعبية من خلال الكتابات الفرنسية:

حرص الكتّاب الفرنسيون المعاصرون، وخصوصا من كانوا ضباطا وجنودا، على طمس الطابع الوطني للمقاومة الجزائرية إلى تفريغها من مضمونها الوطني أهدافها التحررية. وبهذا النهج، حاولوا التمهيد للوصول إلى استنتاجات تتماشى مع رؤيتهم الاستعمارية.

1- يزعم المؤرخون الفرنسيون أن الجزائريين اتصفوا بالتعصب الديني والعرقي، وأنهم لم يكونوا قادرين على التعايش مع الأوروبيين المسيحيين، وهو ما يفسر بحسبهم اندلاع الثورات المتكررة ضد الاستعمار الفرنسي. ويستدل هؤلاء على ما يصفونه "بالتعصب الجزائري" بانخراط رجال الدين في تلك الثورات ودعمهم لقادتها السياسيين والعسكريين غير أن هذا الإدعاء يتهاوى أمام الحقائق التاريخية الابثة، إذ

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 285.

² - ألكسيس دو توكوفيل، نصوص عن الجزائري فلسفة والاحتلال والاستيطان، تر: إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 33.

³ - نفسه، ص 33.

أن التعايش بين الجزائريين والجاليات الأوروبية المسيحية، ومنها الفرنسية كان قائما قبل الاحتلال الفرنسي بقرون، حيث سكنت هذه الجاليات في مدن مثل القالة، عنابة والجزائر العاصمة منذ إقامة مراكز تجارية فرنسية كمركز صيد المرجان. وقد عاش الأوربيين في كتف الأمن والاحترام، مما ينفي الطابع الديني أو العنصري عن الثورات التي كانت في جوهرها، مقاومة مشروعة ضد الغزو والاستعمار.¹

2- يقال أن الجزائريين لا يتحركون نحو التغيير والتطور إلا عندما يشهد بهم الفقر وبطحتهم الجوع وتضييق بهم سبل العيش، أما إذا تحسنت أوضاعهم الاقتصادية وذاقوا طعم الراحة ولرفاه، فإنهم يميلون إلى السكون والرضا، حتى وإن كان ذلك تحت وطأة الاستعمار وحكم الأجانب، كما حدث مع الاحتلال الفرنسي. وهذا التصور يوحي بأن الجزائريين للحراك ليس نابعا من وعي وطني أو شعور بالكرامة، بل من أجل فقط سد رمقهم وتغطية أجسادهم، وأن القضايا الوطنية والدفاع عن السيادة لهم أولوية في الظروف العادية.² وتعد هذه الأطروحة تعبيرا صريحا عن الخطاب الإستعماري محض، لا يخلو من خطورة في أبعاده الفكرية والسياسية، شكلت مرتكزا أساسيا اعتمد العديد من الباحثين والكتاب الذين تناولوا قضايا الطوارق في الجزائر غير القرنين الماضيين. من بين هؤلاء لويس راين، روبين، بروازان، فير، ترو ملي، وغارواوبيليسي ولألمان لم يقتصر تبني هذه الفكرة على الجيل الكولونيالي فحسب، بل امتد تأثيرها إلى عدد من المؤلفين المعاصرين الذين لا يزالون على قيد الحياة. حيث أعادوا تبنيها في كتاباتهم، ومن أبرزها شارل أندري جوليان وأندري نوشي.³

3- رأى بعض المؤرخين والفاعلين السياسيين في الحقبة الاستعمارية أن العديد من الانتفاضات الشعبية التي شهدتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر لم تكن ذاتي طابع وطني خالص بل اعتبروها امتداد لصراعات خارجية وتأثر بإجاءات قوى أجنبية. فقد وجهت اتهامات إلى قادة الكبار مثل المقراني

¹ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، ج1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ط2، ص27.

² - عبد القادر نايلي، التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية-المجلة الإفريقية نموذجاً-، مجلة دراسات وأبحاث، م3، ع3، جامعة زيان عاشور، الخلفة، الجزائر، 2011، ص60.

³ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص27.

والحداد بالتواطء مع البروسيين والألمان والدولة العثمانية، في نظر إلى الشريف بوشوشة وبن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله على أنها تحركات مدفوعة من الزوايا السنوسية، واتهمه آخرون بالارتباط بالمصالح البريطانية، التي كانت تنافس فرنسا في مشروعها الإستعماري شمال إفريقيا. وفي إطار الخطاب التاريخي الاستعماري تكتسي الكتابات الفرنسية حول المجتمع الجزائري أهمية خاصة، ليس فقط من حيث محتواها، وإنما من حيث ما تكشف عنه من تصورات وأحكام أيديولوجية. ولعل أبرز ما تجلّى في هذه الكتابات هو التعامل الانتقائي الموجه مع رموز المقاومة الجزائرية، وعلى رأسهم الأمير عبد القادر. فقد سعت أغلب المصادر الفرنسية إلى التقليل من البعد الوطني لمقاومته، متهمه إياه في البداية بالتعصب الديني، ثم مصورة إياه لاحقا كشخص متصالح مع فرنسا.

ويعكس هذا التوجه كتاب بول أزان الموسوم "بالأمير عبد القادر: من التعصب الإسلامي إلى القومية الفرنسية" الذي يعرض تصورا يرى أن إسناد دور المدافع الوطني للأمير يُشكل طعنا مباشرا في مشروعية الوجود الفرنسي بالجزائر كما يتجلّى هذا الخطاب بشكل أوضح في كتابات مؤرخين فرنسيين متخصصين مثل جورج إيفير الذي تناول الأمير عبد القادر في عدة مناسبات، وخلص على أنه لم يكن بطلا قوميا جزائريا، لأن هذه القومية في رسمه لم تكن موجودة آنذاك، كما اعتبروه رجل دين طموحا لا يحمل مشروعا سياسيا إصلاحيا حقيقيا، بل مجرد شخصية سعت لوراثة النفوذ العثماني¹. ويتضح من خلال المواقف التي تبناها عدد من المؤرخين تجاه زعماء المقاومة الوطنية، أنهم لم يمنحوا لا الحاج أمد باي ولا المقراني ولا الحداد أو بو بغلة أو حمدان بن عثمان خوجة دراسة نزيهة بل جاءت أحكامهم مرتبطة سلفا بخدمة المصالح الاستعمارية مما ألقى بضلاله على الموضوعية في الكتابات التاريخية².

4- النظرة العنصرية من خلال الكتابات والأنثروبولوجية الاستعمارية في الجزائر:

• على المستوى الاجتماعي:

¹ - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 29-30.

² - المرجع نفسه، ص 31.

يلاحظ من خلال مطالعة الكتابات الأنثروبولوجية التي أنتجت خلال الحقبة الاستعمارية، لاسيما في النصف الثاني من القرن 19، النزعة العنصرية التي تتغلغل في كتاباتها. فقد درجت تلك الكتابات على تصوير المجتمع الجزائري ككيان متوحش وجاهل، منكرين عليه أي مظهر من مظاهر التحضر وسعت هذه الأطروحات إلى تبرير المشروع الاستعماري من خلا الادعاء بأنه يحمل رسالة "تمدنية" تهدف إلى إخراج هذا المجتمع من تخلفه وربطه بركب التقدم، عبر تحرير مؤسساته الاقتصادية والاجتماعية.

• على المستوى الثقافي:

يعد نتاجا لتكوين روحي عميق ارتبط ارتباطا وثيقا بالدين الإسلامي الذي شكل ركيزة أساسية لهويته ومن بين الأهداف الجوهرية التي سعى الاستعمار إلى تحقيقها ميدانيا من خلال الكتابات التاريخية والأنثروبولوجية، ترسيخ فكرة مفادها أن الإسلام يشكل عائق أمام التقدم والعلم أمام الحداثة والمدن وقد أدرك المستعمرون مبكرا إن الإسلام ليس فقط منظومة دينية، بل أيضا القوة المحركة للمقاومة الشعبية، وإن استمراره يعني تهديدا دائما لبقاء الاستعمار.¹

ركزت الدراسات والأنثروبولوجية الاستعمارية على تفكيك المجتمعات المستعمرة من خلال الطعن في مقومات هويته، خاصة الدين واللغة، وذلك بهدف تسهيل السيطرة عليها. في الجزائر، عملت هذه الدراسات على طمس التاريخ الإسلامي وربط البلاد مباشرة بالحقبة الرومانية لتبرير الاستعمار الفرنسي. كما اعتمدت سياسة فرق-تسد عبر خلق ثنائية عرب مقابل بربر، ونشر الأفكار مثل كراهية البربر للعرب، فيما عُرف بالأسطورة القبلية.²

كما يرى بعض الباحثين أن الدول الاستعمارية مثل فرنسا لم تكتفي بالسيطرة العسكرية على البلدان الإسلامية، بل قامت أيضا بنشر خطاب فكري ثقافي يصور شعوب هذه المناطق على أنها

¹ - نور الدين كوسة، دور الدراسات الأنثروبولوجية الاستعمارية في تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، *مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا*، م02، ع03، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2007، ص154.

² - عيسى بوقرين، قراءة تاريخية في الدراسات الأنثروبولوجية الاستعمارية، م17، ع01، جامعة عمار تليلجي، الجزائر، جانفي 2021، ص793.

بدائية وهمجية، وتعيش خارج التاريخ ومن خلال كتابات بعض المستشرقين مثل أوغست موليراس في كتابه المغرب المجهول، تم تقديم صورة مشوهة عن المجتمعات الإسلامية، وكأنها شعوب جاهلة تعيش في الظلام وهذا الخطاب الإستعماري لم يكن عشوائيا، بل كان مدروسا ومبنيا على أفكار أنثربولوجية واجتماعية، سُخِّرَت لخدمة مشروع تمدين، الذي كان في حقيقته وسيلة للسيطرة والهيمنة كما تم اتهام الدين الإسلامي بأنه عائق أمام التطور والعلم، في محاولة لفصل المسلمين عن دينهم وتشويه صورتهم.¹

¹ - عيسى بوقرين، المرجع السابق، ص 794.

المبحث الثالث: النظرة العنصرية الاستعمارية من خلال معاملاتهم.

تتجلى العنصرية المقيّنة والتفرقة الاجتماعية، سواء في المدن أو المدارس أو أماكن العمل أو في الواقع اليومي، تلك النعوت التحقيرية المفردات الحيوانية والدينية التي تستخدم لوصف بعض الأفراد، والتي تعكس نظرة دونية وتمييزاً قائماً على الأصل أو اللون أو الطبقة الاجتماعية. حيث يستعملها المستوطنون الأوروبيون عند الإشارة للجزائريين مثل: البيكو،* الصال أراب أي العربي القدر الراتون.* يبين أبو القاسم سعد الله صورة البيكو في أذهان المستوطنين فيقول: الأجزاء المؤلفة لصورة البيكو في ذهنية الأقدام السوداء مكونة من خمسة لوازم هي أنه وحشي، وفقير، وقذر، وغشاش، وشهواني.¹

بالإضافة إلى استخدام بعض العبارات للتقليل من شأن العرب بطريقة عنصرية. فمثلاً كان يقال "تليفون عربي" للدلالة على كثرة الكلام وعدم حفظ الأسرار، "شغل عربي" لوصف العمل الغير المتقن، في حين يستخدم وصف "حكاية عربية" للدلالة على التعقيد والفوضى، وتحولت كلمة عربي في هذه السياقات إلى رمز لكل ما هو سلبي ومنحط، مما يكشف عن نظرة استعمارية مقصودة تجاه العرب.²

كما لم يتوان المستوطنون الأوروبيون في استفزاز الجزائريين، خاصة فيما يتعلق برموزهم الدينية والثقافية، حيث استخدموا أسماء عربية بطريقة مهينة تعكس نظرتهم الاستعمارية المتعالية. فقد كان اسم أحمد يُستعمل للدلالة على الرجل العربي بطريقة تنم عن قلة احترام، وكذلك اسم فاطمة الذي أطلق على النساء العربيات بشكل يعكس نظرة دونية واتهاماً بقلّة الأدب. وكل هذه الممارسات الاستفزازية ساهمت في تعميق الهوة بين المستوطنين والجزائريين، وأصبحت حاجزاً يحول دون أي تقارب أو تطور

* البيكو: كلمة بيكو أصلها إيطالي فيما يبدو منعها التيس كناية عن الشعر الاسود وربما عن الغباء أو عليهما معا، ينظر، فرحات عباس، الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم الشاب الجزائر 1930، ترجمة أحمد منور، تقديم، أبو القاسم سعد الله، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص120.

* الراتون: هي تلك الدونية المخاتلة التي تزور خم الدجاج حينما يغيب عنها الحارس الوفي أو يكون مربوطاً، ويقصد هنا بالكلب ينظر، فرحات عباس المرجع السابق، ص120.

¹ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1996، ص73.

² - المرجع نفسه، ص60.

إيجابي في العلاقات بين الطرفين، كما كانت عباراتهم البدائية المشبعة بحقدهم تجاه الأهالي حيث ترافقها دائما حركات فاحشة وألفاظ فاحشة، خاصة من قبل المستوطنين الذين يتقنون اللغة العربية.¹

كان الجزائريون دوما عرضة للسخرية في نظر المستعمر الأوروبي. وقد عبّر الكاتب مولود فرعون عم هذه النظرة المهينة في يومياته قائلا: من هو الجزائري في عين الأوروبي؟ إنه مجرد عامل بسيط، كائن غريب بطباع مثيرة للسخرية، ولغة لا تفهم، وهذا يعكس بوضوح الصورة النمطية التي رُوّج لها الاستعمار، والتي اختزلت الجزائري في دور متجاهلة ثقافة وهويته وكرامته. وفي الحياة اليومية للجزائريين، انتشرت بعض الألقاب السخرة التي يستخدمها الناس لوصف مجموعات معينة، وأصبحت جزءا من كلامهم العادي، والسبب في ذلك هو أن أغلبهم يظهرون بطريقة متشابهة، سواء في اللباس أو طريقة التعامل مع الزبائن.²

1- ألقاب تحمل دلالات الاحتقار للجزائريين من طرف المستوطنين:

لم تسلم ألقاب الجزائريين هي الأخرى من العنصرية الاستعمارية فقد شوّهتها، ووسمتها بصفات بها الكثير من الدناءة والاحتقار، فمنها الألقاب العائلية مثل: حلّوفة، بملول، وألقاب أنثوية مثل: بختة، ثلجة، وألقاب عائلية أخرى مستمدة من أعضاء جسم الإنسان مثل: بوراس، بوكرش، بوكراع، قصير، خشين، وبعض الألقاب الأخرى مقتبسة من فصول وأيام أو ألوان، وحتى حيوانات مثل: لحمر، لبيض، قنفود، ذيب، سبع، وألقاب أخرى من الخضر والفواكه، وحتى من وسائل الزراعة مثل: بوفاس، بومنجل، ومن الحشرات مثل: بخوش، ناموس، أو من الملابس مثل: بوقندورة، برنوس.³

كما كانت اللغة العربية تواجه بنظرة دونية وعداء شديد من قبل البعض، إذا كانوا يرونها لغة غير نافعة، تتسم الصعوبة والغلظة، وبوصفها بالعنف والوحشية، أما متحدثوها، فكانوا يُوصفون بأوصاف

¹ - بغداد شاشي، مظاهر النزعة العنصرية للمستوطنين الأوروبيين تجاه الجزائريين خلال 1830-1954، مجلة عصفور

الجديد، م14، ع02، جامعة ملين دباغين، سطيف2، 2004، ص ص296-297.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص64.

³ - مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، المؤسسة الوطنية للطبع، الجزائر، 2014، ص54.

مهنية، تدل على التخلف والعناد، ويشبهون أحيانا بالحيوانات، مثل "الحمار والفأر، في محاولة لتجريدهم من صفاتهم الإنسانية، وتصويرهم على أنهم أدنى من البشر. ومع مرور الوقت، تعمقت الهوة بين المجتمعين بسبب موقف المستوطنين وعقليتهم العنصرية، التي كانت ترفض أي تقارب بينهم وبين الجزائريين، وتعد مجازر 8 ماي 1945 أبلغ دليل على حقد المستوطنين ووحشيتهم.

2- النظرة العنصرية الاستعمارية لدى الأوروبيين المثقفة:

يكشف هذا الموقف جانبا من المعاملة الجائرة التي كان يلقاها الطلاب الجزائريون من بعض الأساتذة الأوروبيين حيث واجه أحمد طالب الإبراهيمي سلوكا عنصريا من أستاذه "دوريني" الذي خالف القواعد المعتادة للامتحان الشفوي لطرحه ثلاثة أسئلة بدلا من اثنان، كما لو أنه يسعى لإفشاله عمدا، وهذا التصرف يعبر عن نظرة استعمارية تجاه الطلاب الجزائريين، ويعكس كيف كانت العنصرية تتغلغل في المؤسسات التعليمية.¹ كما كان المستوطنين ينظرون بعين الحقد والرفض لأي جزائري يتلق منصباً أو يتقرب من مواقع النفوذ، وقد لمس عبد الرحمان فارس هذا التعصب بنفسه عند تعيينه موثق في مدينة برويقة، حيث قبل من طرف وكيل الجمهورية برود واضح، يعكس مدى الكراهية التي بكتها للاستقلاليين وكل ما يمت بصلة للجزائر.²

لقد عبر العديد من السياسيين الفرنسيين بشكل واضح عن مواقفهم العنصرية تجاه الجزائريين، ومن أبرز الأمثلة ما قاله النائب البرلماني "روني ماير" في الجمعية الوطنية الفرنسية حيث صرح " يجب ألا نلوث الجمهورية بإدخال الشعب الجزائري إليها، لأن القيم تتسم عندما تحتك بشعب لا يمكن إصلاحه.³

- العنصرية الاستعمارية تجاه الجزائريين الموالين للإدارة الاستعمارية:

¹ - أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري 1932-1965، ج1، دار القصة، الجزائر، 2006، ص66.
² - عبد الرحمان فارس، الحقيقة المرة-مذكرات 1945-1965، تر: دار القصة، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 2007، ص20.
³ - فرانز قانون، معذبو الأرض، تر: سامي الدروبي وجمال الأناسي، ط3، دار الطليعة، لبنان، 1984، ص17.

رغم ولاء بعض الجزائريين للإدارة الاستعمارية وتقلدهم مناصب عليا، لم يسلموا من النظرة العنصرية للمستوطنين الأوروبيين. ويجسد ذلك المثل الشعبي، "العربي عربي ولو كان الكولونيل بن داود"، الذي يبرز أن الجزائري يظل محتقرا في نظر المستعمر مهما بلغ من رتبة. وتروي قصة الضابط "بن داود" الذي رفض مصافحته في حفل من قبل سيدة فرنسية باحتقار، ما يعكس أن الاستعمار لم يعترف أبدا بالجزائري حتى وإن خدم مصالحه.¹

كما يكشف هذا المقطع عن مظاهر العنصرية التي كانت تعاني منها نساء الأشراف الجزائريين في ظل الاحتلال الفرنسي، رغم أن أزواجهن كانوا يقدمون خدمات جليلة للإدارة الاستعمارية. فقد كانت تلك النسوة يجبرن على الوقوف في الطابور مثل باقي الزبائن دون أي اعتبار لمكانتهن الاجتماعية، ويتعرضن لمواقف مهينة عند مخاطبتهن بعبارات نمطية مثل: "مرحبا فاطمة، ماذا تريدين؟" وهي عبارة تستخدم بشكل عامي ومُهين للإشارة إلى النساء المسلمات من الأهالي دون تمييز بين طبقاتهن الاجتماعية. حيث لم تكن مكانة المرأة أو مكانة زوجها كفيلة بحمايتها من الاحتقار والإقصاء، مما يكشف عن عنصرية منهجية.²

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 86.

² - بغداد شاشي، المرجع السابق، ص 309.

خاتمة

يتضح من خلال هذه الدراسة أن النظرة الاستعمارية العنصرية الفرنسية لم تكن مجرد انعكاس لأفكار موروثية، بل أداة وظيفية داخل المشروع الاستيطاني، تهدف إلى نزع الشرعية عن المجتمع الجزائري، وتشريع الهيمنة عليه ثقافيا واجتماعيا وسياسيا، ولقد شكل هذا التصور العنصري ركيزة أساسية في هندسة العلاقة غير المتكافئة بين المستعمر والمستعمَر ومن خلال دراستنا وتحليلنا لموضوع "مظاهر النظرة الاستعمارية العنصرية للاستعمار الاستيطاني الفرنسي تجاه المجتمع الجزائري"، توصلنا إلى جملة من النتائج الهامة التي يمكن استخلاصها على النحو التالي:

- الاستعمار الاستيطاني الفرنسي في الجزائر لم يكن مجرد احتلال عسكري مشروع إقصائي قائم على التمييز العرقي والحضاري، ويتضح من خلال البحث أن الاستعمار الفرنسي لم يكن يهدف فقط إلى السيطرة على الأرض، بل إلى إلغاء الوجود الإنسان الجزائري كفاعل حضاري. فقد سعى إلى محو الهوية الوطنية والدينية والثقافية للسكان الأصليين، من خلال فرض ثقافة المستعمر وتعزيز فكرة "تفوق العرق الأبيض".

- النظرة العنصرية كانت مؤسّسة على أيديولوجية التفوق الحضاري الأوروبي، وذلك من خلال تبين أن النظرة الاستعمارية تجاه الجزائريين كانت تغذيها مقاولات فكرية وسياسية تعتبر الأوربيين شعبا "تحضّرا" و"ومتفوقا"، في مقابل تصوير الجزائريين "بدائيين" "وغير عقلانيين" "غير مؤهلين" للحضارة أو التقدم إلا من خلال الذوبان في النمط الفرنسي.

- تجسّدت هذه النظرة الاستعمارية في سياسات وممارسات تمييزية يومية وهيكلية ومن أبرز مظاهر هذه العنصرية تمثلت في قوانين استثنائية حرمت الجزائريين من حقوقهم السياسية وفي الفصل بين الأحياء، والتعليم الذي كان موجهها لخدمة الأقلية الأوروبية، إلى سوق العمل الذي همش الجزائريين لصالح الأوروبيين. كما كانت العدالة تطبّق بمعايير مزدوجة بين الطرفين.

- تمثّل الاستعلاء الثقافي الفرنسي في سياسة فرنسة التعليم ومحاربة الهوية والشخصية الجزائرية، حيث عمل الاستعمار على تشويه الثقافة الجزائرية، وفرض لغته وثقافته كأداة للهيمنة. فقد تم إقصاء

اللغة العربية من المؤسسات التعليمية، وتهيئ التعليم الديني، في محاولة لخلق "جزائري فرنسي" لكن هذه المحاولات قوبلت بالمقاومة الثقافية، والتمسك بالهوية.

- أظهرت الدراسة أن المجتمع الجزائري لم يستسلم لهذه النظرة العنصرية، بل واجهها بمقاومة ثقافية عميقة، تجسدت في التعليم الحر والزوايا، والحفاظ على الدين واللغة، إضافة إلى المقاومة السياسية والمسلحة لاحقا. فكانت الهوية الوطنية حصنا منيعا ضد محاولات الإذابة الثقافية.

- يتبين بأن فهم مظاهر النظرة الاستعمارية ضروري لتفكيك آثار الاستعمار في الحاضر حيث لا تقف أهمية هذا البحث عند حد التوثيق التاريخي، بل تتعداه إلى محاولة فهم كيف أن رواسب هذه النظرة لا تزال تؤثر في بعض الخطابات والممارسات المعاصرة، سواء في العلاقات الدولية أو تمثيلات الذات والآخر. لذا فإن تفكيك هذه النظرة هو جزء من مشروع تحرير فكري وثقافي مستمر.

- لعبت هذه الوسائط (صحف وكتابات وأدب المعمرين) دورا محوريا في بناء صورة نمطية للمجتمع الجزائري، تقوم على التحقير من ثقافته، وشيئته وتجريده من تاريخه، بغرض تبرير الهيمنة الاستعمارية وتعزيز الوجود الاستعماري في الجزائر.

- صوّرت الصحافة الفرنسية الجزائريين على أنهم "غير متحضّرين" ووصفت تقاليدهم بالدونية والبدائية، مما عزّز خطاب الرسالة الحضارية المزعومة. أما الدراسات والكتابات الفكرية والأدبية فقط اتسمت غالبا بنزعة اثنوجرافية تنظر إلى الجزائريين ككائنات قابلة للدراسة والتصنيف، لا كشركاء في الوجود الإنساني أو التاريخي.

- ومن هنا فإن فهم هذه المظاهر الفكرية والثقافية للاستعمار والعنصرية يُعدّ ضرورة لفهم عمق الأثر الذي خلفه الاستعمار في الذاكرة الجماعية الجزائرية، وفي استمرار بعض تظاهراته حتى بعد الاستقلال.

ملاحق

– الملحق رقم 3: جريدة L'Echo d'Alger



- الملحق رقم 04: مخالفات قانون الأهالي 27 جوان 1888

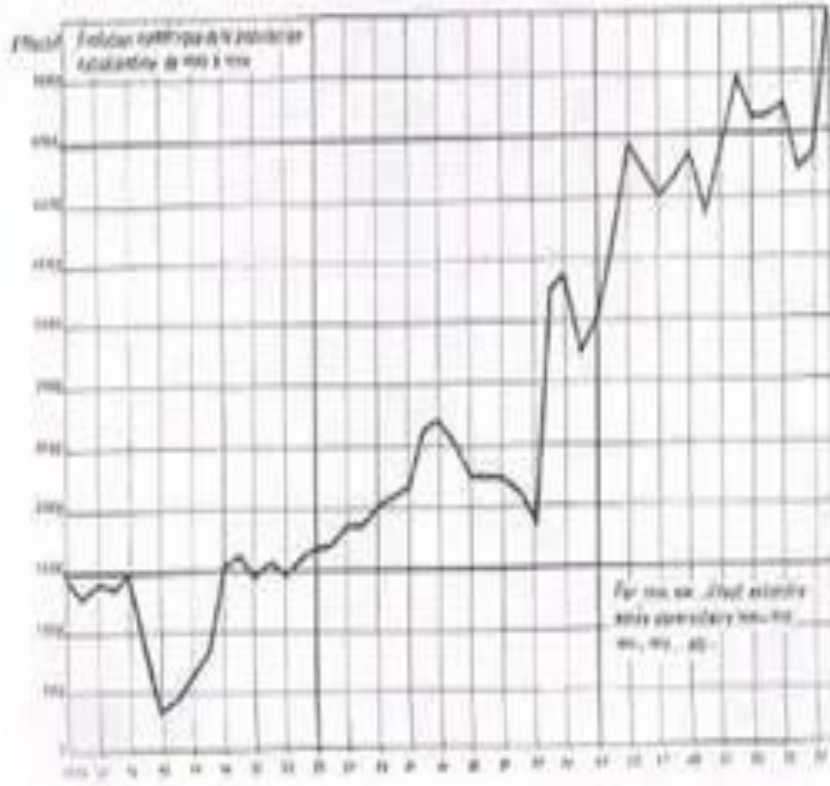
Estoublon et Leféune , Code de l'Algérie annoté(1830-1890), Jourdan , éditeur ,
Alger , 1890 .

Annexe à la loi du 27 juin 1888 :

Enumération des faits considérés Comme infraction spéciales à l'indigénat.

- _1° propos tenus en public contre la France et son gouvernement
- 2° actes irrespectueux ou propos offensants vis-à-vis d'un représenta ou d'un agent de l'autorité.
- 3° refus ou inexécution du service de garde-patrouille et poste-vigie prescrits par l'outorité, abandon d'un poste ou négligence dans les mêmes services.
- 4° refus de fournir contre remboursement, au prix du tarif arrêté par préfet, les agents auxiliaires, les moyens de transport, les vivres, l'eau potable et le combustible aux fonctionnaires ou agents dûment autorisé
- Dans les régions désignées tous les ans par un arrêté spécial du gouverneur général.
- _5° inexécution des ordres donnés à propos des opérations relatives à l'application des lois du 26 juillet 1873 et du 28 avril 1887.
- 6° inobservation des décisions administratives portant attribution des terres collectives de culture, après avis de la djemââ consultée.
- _7° négligence dans le paiement des impôts, soulte de l'achat du séquestre, amendes et généralement de toute somme due à l'Etat ou à commune . Négligence dans l'exécution des prestations faites en nature
- _8° manque d'obtempérer aux convocations des receveurs lorsqu' 'ils rendent dans les marchés ou dans les douars pour percevoir les contributions.
- _9° dissimulation de la matière imposable et connivence dans soustractions ou tentatives de soustractions ou recensement des anis et objets imposables.
- _10° détention pendant plus de vingt-quatre heures d'animaux égare sans avis donnés à l'autorité.

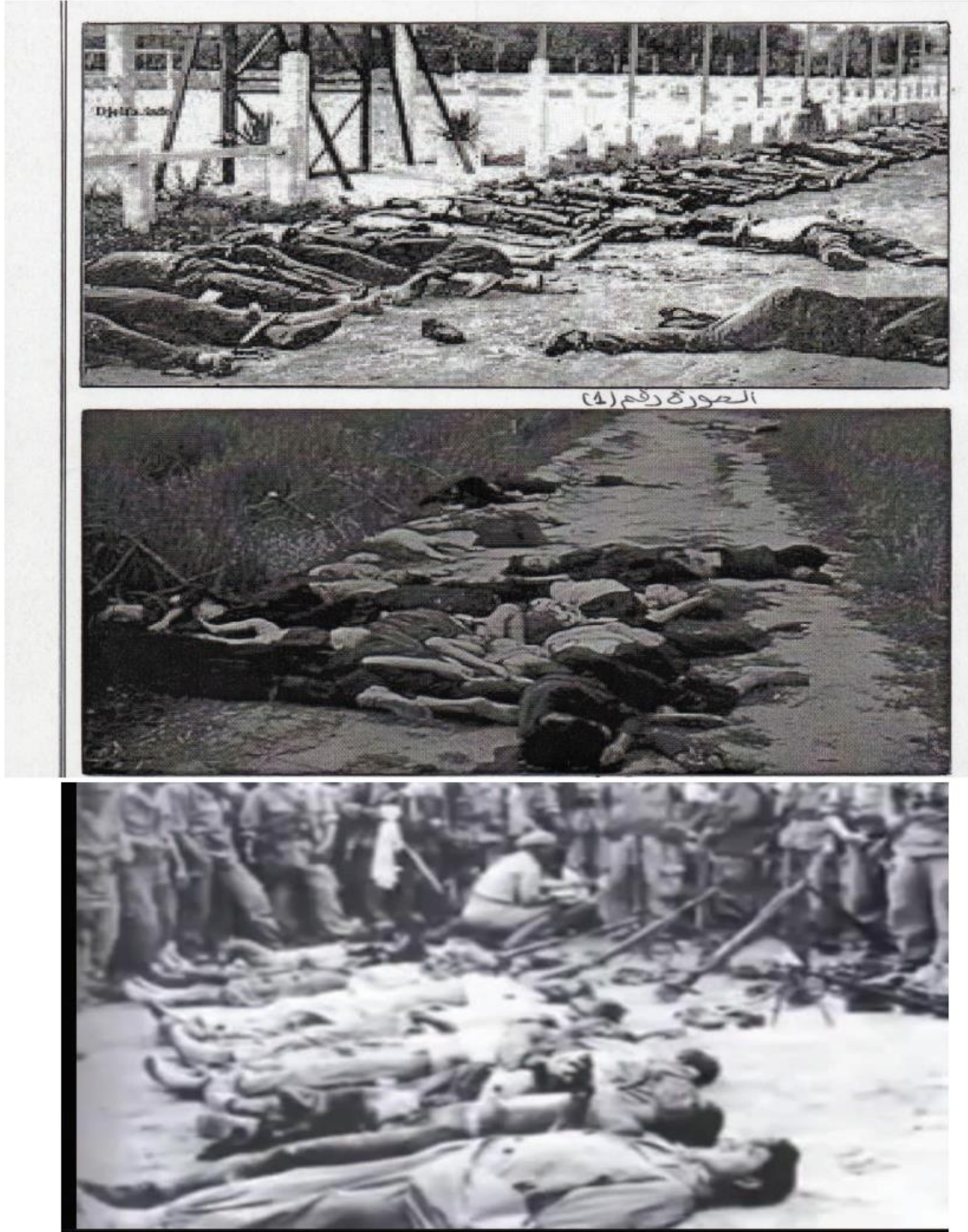
- الملحق رقم 05: منحنى بياني لتطور طلاب التعليم العالي في الجزائر (1880-1959)



منحنى بياني لتطور أعداد طلاب التعليم العالي في الجزائر (1880-1959)

المصدر: خميلتي العكروت، التعليم العالي الفرنسي في الجزائر 1879-1962، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر المعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2016-2017، ص 399.

- الملحق رقم 06: جرائم الإبادة الجماعية الفرنسية ضد الشعب الجزائري.



1-<http://www.Fr7.com>

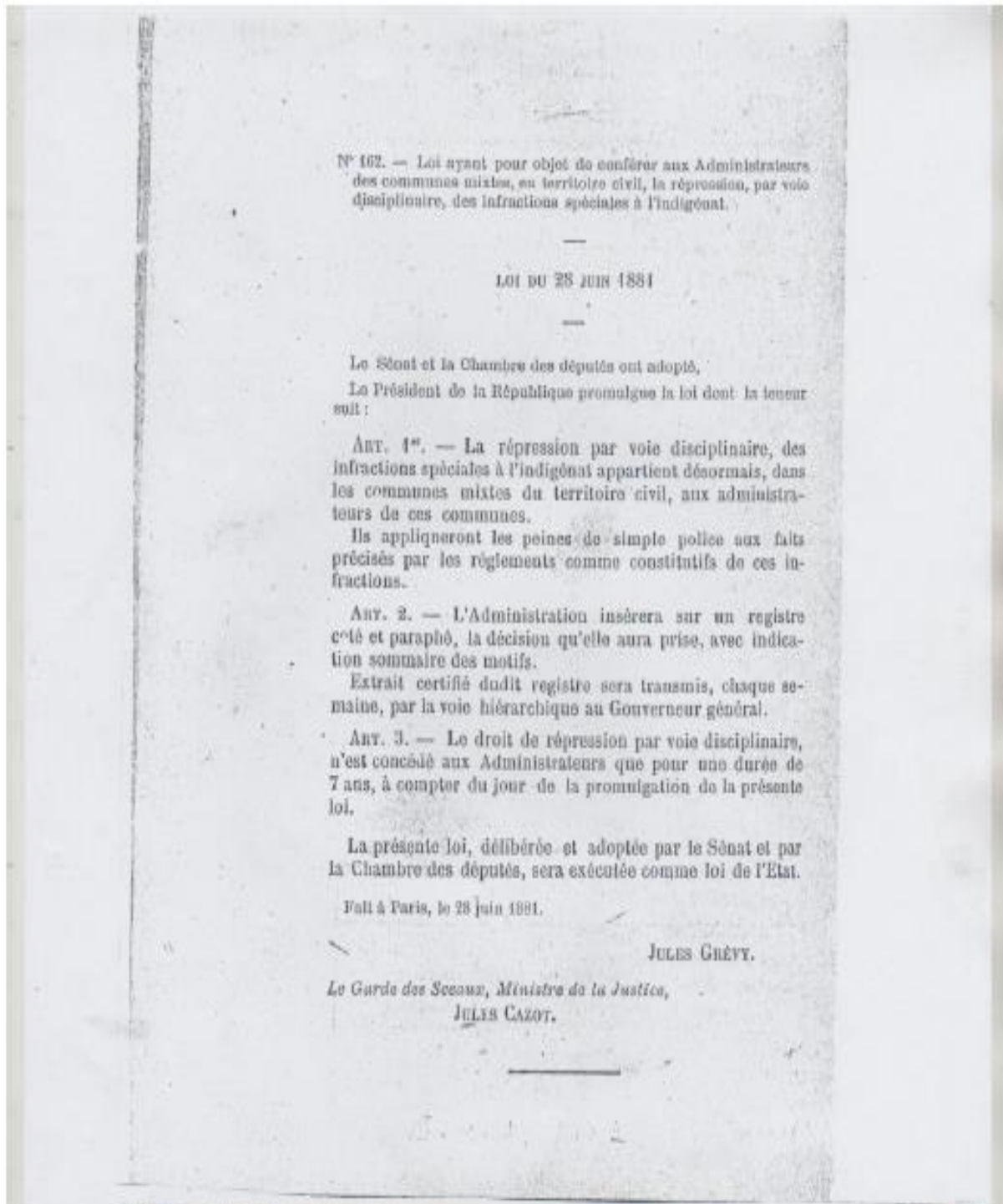
2- <http://www.Youtube.com>

الملحق رقم 07: مبيعات الأراضي في الفترة 1880-1908م

<u>مبيعات الجزائريين:</u>			
العمالة	المساحة(هـ)	ثمن البيع(فرنك)	السعر الوسطي ف/هـ
الجزائر	125949	2838822	78.11
قسنطينة	171207	21029839	122.72
وهران	351431	29919887	85.10
المجموع	648677	60788549	93.71
<u>مبيعات الأوربيين:</u>			
العمالة	المساحة(هـ)	ثمن البيع(فرنك)	السعر الوسطي ف/هـ
الجزائر	43227	8538093	177.03
قسنطينة	119009	21359266	179.48
وهران	30118	5505688	182.80
المجموع	197354	403047	179.38

المصدر: صالح عباد، المرجع السابق، ص 119.

الملحق رقم 08: إصدار قانون الأهالي 1881.



المرجع: محمد بلبل، المرجع السابق، ص 208.

بیلو غرافیا

1 المصادر:

- باللغة العربية:

1. الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيس، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
2. توفيق المداني أحمد، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984.
3. توفيق المدني أحمد، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.
4. عباس فرحات، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر، 2006.
5. عباس فرحات، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، دار القصة للنشر حيدرة، الجزائر، 2005.
6. مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر، 2007.

- باللغة الأجنبية:

1. AH ,Dupuy ,Lesimpot indigènesen Algerie ,Imprieries Gojosso .1910 ,
2. Alexis De Tocqueville, Oeuvre complètes, Tom 5, Michel Levy frères, Paris,1866.
3. Alexis De Tocqueville ,seconde lettre sur L'Algérie ,de Eirem, Bejaia , -Alegria, 2006 .
4. Bordier. A, La colonisation scientifique et les colonies Français Typographie Paul schmidt,Paris,1884.
5. Gendarme ,L'économie de l'Algérie sous ,dévalement et que de crassance, Paris,1960.
6. Gouvernement général civil de l'Algérie ,statistique général de l'Algérie, années 1882 a 1884 imprimerie de L'association ouvrier , L'Algérie .
7. Jean melia, le triste sort des indigènes d'Algérie ,mercure de france , paris.1935 ,
8. Luis Bertrand ,Le sang des races ,L'harmattan ,paris .1912 ,
9. Luis Bertrand, Le sang des races ,L'harmattan ,paris .2016 ,
10. Papa louette ,journal ,des sans ,souci, journal satirique ,humoristique et littéraire ,démance19 janvier 1901 .

11. Pnolilouris ,l'enseignements upérieur a Alger ,reverie ,Africana n°49,1905 .

- الجرائد :

1. La défence de commerce 01 ,fevrier .1923
2. La defense de communes, 30octobre .1920
3. La dépêche Algérienne ,N8138,9 °novembre .1909
4. La dépêche de Constantine ,N3085,17 °janvier 19 .20
5. La Depeche de Constantine ,N° 326920,juillet .1920
6. La dépêche de Constantine ,N°, 1316310,mai .1945
7. La dépêche de Constantine ,N13493,13 ,°novembre .1945 ,
8. La dépêche de Constantine ,N°, 3269,20juillet .1920
9. La lutte sociale 26 ,mares 1938 .
10. La voix indigène 23 ,avril .1937
11. Le progrès de Guelma 19 ,jeune .1917
12. Le républicain de Constantine 13 ,avril .1919
13. L'écho d'Alger ,N °du 28octobre .1919
14. Les échos l'avenir de Guelma ,N°, 12 9 ,juin1945
15. Les échos l'venir de Guelma ,N° 56 05 ,septembre .1936

2- المراجع :

باللغة العربية :

1. الإبراهيمي أحمد طالب، مذكرات جزائري 1932-1965، ج1، دار القصبة، الجزائر، 2006.
2. أبو خليل شوقي، تحرير الاستعمار، جمعية الإسلامية العالمية، 1991.
3. أجيرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، تر: مسعود وأبكلي، ج1، الجزائر، 2007.
4. أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر 1871-1954، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982.

5. أندري شارل جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم، الطيب المهيري، صادق مقدم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
6. إيف لأكوست، أندري نوشي وآخرون، الجزائريين الماضي والحاضر، تر: راجح اسطنبولي وآخرون، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر.
7. برفلي غي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880-1962، تر: حاج مسعود وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
8. بشير كاشة الفرحي، مختصر ووقائع وأحداث ليل الاستعمار الفرنسي للجزائر 1830-1952، المؤسسة الوطنية للنشر، الروبية، 2007.
9. بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، جامعة دحلب، الجزائر، 1992.
10. بلال بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1889، ج1، دار المعرفة، الجزائر.
11. بلال بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
12. بلحاج صالح، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910-1939، دار بن مرابط للنشر، الجزائر.
13. بن إبراهيم الطيب، الاستشراف الفرنسي وتعدد محامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، 2004.
14. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
15. بوحوش عمار، العمال الجزائريين في فرنسا، دراسة تحليلية، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، 1979.
16. بوزيان سعيد، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر، رواد المقاومة الوطنية في القرن 19، دار الأمل للطباعة والنشر، ط2، 2004.
17. بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 وانعكساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010.
18. بوعزيز يحيى، السياسة الاستعمارية والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، السياسة الاستعمارية من خلال المطبوعات حزب الشعب الجزائري، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
19. بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرنين 19-20، ج1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ط2.
20. بوعزيز يحيى، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
21. تركي راجح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

22. تركي عمارة راجح، الشيخ بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900-1914، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970.
23. جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، تر: عائدة وسهيل إدريس، دار الأدب، لبنان، 1958.
24. جان بول سارتر، مواقف مناهضة للاستعمار، تر: محمد المعراجي، مر: أحمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2008.
25. جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.
26. جمال قنان، معالم الكفاح الوطني ضد الاحتلال الفرنسي 1830-1954، المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية الجزائر العاصمة، الجزائر، 2003.
27. الجمل شوقي، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971.
28. جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، تر: عابد فوزية، دار غرناطة، الجزائر، 1984.
29. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام 1837-1962، ج5، دار الأمة، الجزائر، 2007.
30. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، ط7، 1994.
31. حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المحاض، تر: نجيب عباد وصالح المثلوثي، المؤسسة للفنون المطبعية، الجزائر، 1994.
32. حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010.
33. حمادي عبد الله، الحركة الطلابية الجزائرية 1872-1962، مشاريع ثقافية وأيديولوجية، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ط2، 1995.
34. الخالدي سهيل، صفحات من النظام المشترك ضد الاحتلال، الجزائر ولآد الشام منشورات الحضارة، الجزائر، 2013.
35. خلف التميمي عبد المالك، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، عالم المعرفة، الكويت، 1978.
36. خياطي مصطفى، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، المؤسسة الوطنية للطبع، الجزائر، 2014.
37. خياطي مصطفى، حقوق الإنسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، منشورات PENA، روية الجزائر، 2013.

38. دو توكفيل ألكسيس، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر: إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
39. روبير شارل أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، م2، تر: بالمعهد العربي العالمي للترجمة، شركة الأمة، الجزائر، 2008.
40. الزيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.
41. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007.
42. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1996.
43. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، 1996.
44. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
45. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط4، 1992.
46. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2005.
47. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
48. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، 1996.
49. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الحديث 1830-1954، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
50. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الحركة الوطنية 1930-1949، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط4، 1992.
51. سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ المقاومة والتحرير الجزائر 1830-1962، 2011.
52. سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
53. سعيد وني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1999.
54. سعيد وني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1793-1830، دار البصائر، ط3، 2012.
55. سعيد وني ناصر الدين، منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
56. الشيخ سليمان، الجزائر تحمل السلاح، تر: محمد حافظ الجمالي، دار القصة، الجزائر، 2007.
57. صالح عباد، الجزائريين فرنسا والمستوطنين، 1830-1930، ديوان مطبوعات، قسنطينة.
58. طاليس إبراهيم، السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على الثورة 1956-1958، دار الهدى، 2013.

59. طرشون نادية، بالهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال، منشورات المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طخ، 2007.
60. عباد صالح، المعمرون والسياسة في الجزائر 1870-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
61. عباس فرحات، الجزائر من المستعمرة إلى إقليم الشاب الجزائري 1930، تر: أحمد منور، تق: أبو القاسم سعد الله، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
62. عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج1، مؤلفات للنشر والتوزيع، 2013.
63. عدة بن داهة، عدوانية التشريعات العقارية الفرنسية في الجزائر، خروجها عن القانون والأخلاق، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، معسكر، 2014-2015.
64. العسلي بسام، المقاومة الجزائرية والاستعمار الفرنسي 1830-1833، دار التعايش، بيروت، 1980.
65. العقاد صالح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، (الجزائر-تونس-المغرب الأقصى)، مكتبة الأنجلوا المصرية، مصر، ط6، 1993.
66. عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريجانة، الجزائر، 2002.
67. عميرايي أمحيدة وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر، الجزائر، ط خ، 2007.
68. عميرايي أمحيدة، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1962، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
69. عميرايي أمحيدة، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري بداية الاحتلال، دار البعث، الجزائر، 1984.
70. عميرايي أمحيدة، فواصل في الفكر والتاريخ، دار البعث، قسنطينة، 2002.
71. عميرايي أمحيدة، من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، ط2، 2009.
72. عيساوي محمد، شريخي نبيل، الجزائر الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871، مؤسسة كنوز الحكمة، 2011.
73. غرانيزوي أوليفيه لوكور، في نظام الأهالي، ت: العربي بوينرن، منشورات الشائحي، الجزائر، 2011.
74. غربي الغالي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر، خلفيات أبعاد، سلسلة للبحث منشورات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، ط خ، 2007.

75. غربي الغالي، العدوان الفرنسي على الجزائر خلفيات وأبعاد، دار الهدى، الجزائر، 2007.
76. فارس عبد الرحمان، الحقيقة المرة مذكرات 1945-1965، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصة، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007.
77. فانون فرانز، معذبو الأرض، تر: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، ط3، دار الطليعة، لبنان، 1984.
78. فركوس صالح، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي في ضوء شرق البل 1844-1871، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
79. فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830-1925، الجزائر، 2010.
80. فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830-1925، ديوان الحقوق والأدب والعلوم الاجتماعية، جامعة قالة، 2010.
81. فرنسوا مسيروا، سانت أرنوا أو الشرق الضائع، تر: أحمد بكلي، مر: مسعود حاج مسعود، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005.
82. فيلا لي عبد العزيز، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830-1850، دار المهدي عين مليانة، الجزائر.
83. فيليب لوكا، فاكاز كلود جون، جزائر الانثروبولوجية، نقد السوسيوولوجي الكولو نيلية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002.
84. قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، تر: محمد المعراجي، دار الأمة، الجزائر، ط خ، 2011.
85. قداش محفوظ، تاريخ جزائر الجزائريين بين 1830-1954، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008.
86. قداش محفوظ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، ج1، تر: محمد المعراجي، منشورات PENA، وزارة المجاهدين، طبعة خاصة.
87. قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944، دار هومة، الجزائر، 2007.
88. كوكليت جانسون فرانسيس، الجزائر خارجة عن القانون، تر: محمد المعراجي، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2014.
89. لونيسي راجح، تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر، 2007.
90. مزهود الصادق، تاريخ القضاة في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطنية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، ط2، 2012.
91. مزيان سعيدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871-1914، ج1، دار سانجاق، الجزائر، 2010.

92. مقالاتي عبد الله، المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي الجزائري وردود الفعل الوطنية 1830-1962، وزارة الثقافة، الجزائر.
93. مقالاتي عبد الله، في جذور الثورة الجزائرية مقاومة المستعمرة من الاحتلال إلى فاتح نوفمبر 1954، وزارة الثقافة، الجزائر.
94. محساس أحمد، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار المعرفة، الجزائر.
95. مياشي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
96. الميسري عبد الوهاب، الصهيونية والعنف... من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002.
97. هلال عمار، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918، دار هومة، الجزائر، 2012.
98. ولد خليفة محمد العربي، الاحتلال الاستيطاني للجزائر، مقارنة التاريخ الاجتماعي والثقافي، دار تالة، الجزائر، 2005.

- باللغة الأجنبية:

1. Ageron C h ,R, Histoire de l'Algérie contemporain ,PNF1968 .
2., les Algériens musulmans et la Français (1871-1913), T.L.P.U.F, Paris,1968.
3., Histoire de l'Algérie contemporain ,PNF 1979.

- المقالات :

1. بلبل محمد، التشريع العقاري الاستعماري في الجزائر خلال القرن 19-القطاع الوهراني نموذجاً-، مجلة العصور، ع16، جوان 2010.
2. بوحوص شهنواز، القوانين الاستثنائية في الجزائر 1882-1830، مجلة أفاق فكرية، م10، ع02، جامعة جيلة، لي، سيدي بلعباس، الجزائر، 2022.
3. بودرالة الطيب، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية الحديثة، مجلة علوم اللغة وآدابهم، م02، ع02، 2010.
4. بوعزيز يحيى، الوضع العام في الجزائر عشية ثورة أول نوفمبر 1954، مجلة الذاكرة المتحف الوطني للمجاهد، ع07.
5. بوقرين عيسى، قراءة تاريخية في الدراسات الانترولوجية الاستعمارية، م17، ع01، جامعة عمار ثليجي، الجزائر، جانفي 2021.

6. جبور جورج، الطبيعة العنصرية للاستعمار الاستيطاني، المصرية، م27، 1971.
7. جريدة المجاهد، الأقليات الأوروبية في الجزائر بين الأمس والغد، ع51، اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني الجزائر، 21 سبتمبر 1959.
8. زقب عثمان، إبادة الجزائريين خلال الاحتلال الفرنسي بين الانفعال المعزولة الاستراتيجية، مجلة البحوث ودراسات، م10، ع16، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر، صيف 2013.
9. زقب عثمان، التمييز الأوروبيين والجزائريين بالبلديات المختلطة، مجلة البحوث التاريخية، م05، ع02، ديسمبر 2021.
10. سلون رشيد رمضان، الاستيطان الأوروبي بالجزائر 1830-1870، جامعة تكريت للعلوم، ع04، قسم التاريخ كلية التربية، جامعة تكريت، 2013.
11. سليمان عبد القادر، سياسة الأرض المحروقة وآثارها على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر 1830-1847، م07، ع03، جامعة الظاهري محمد، بشار-الجزائر، 2018.
12. شاشي بغداد، مظاهر النزعة العنصرية للمستوطنين الأوروبيين تجاه الجزائريين خلال 1830-1954، مجلة عصور الجديدة، م14، ع02، جامعة لين دباغين، سطيف2، 2024.
13. شوتيام أرزقي، سياسة الاستيطان الفرنسي في الجزائر 1830-1914، مجلة التاريخ المتوسطي، م02، ع02، جامعة الجزائر 02.
14. عبيد بوداود، ألكسيس دو تو كفيل، قراءة في بعض أفكاره ومواقفه، مجلة القرطاس، ع02، جامعة معسكر، جانفي 2015.
15. عزوز ديلمي، وزن المستوطنين في السياسة الاستعمارية، مواقف صحافة مستوطن عمالة قسنطينة بين الحرين العالمين، مجلة العلوم الإنسانية، ع37، الجزائر، جوان 2012.
16. عمري الطاهر، مراكز الثقافة في الجزائر بين المقاومة التكيف 1830-1900، مجلة الدراسات الأدبية والإنسانية، ع01، قسنطينة، 2004.
17. عوادي مسعود، مظاهر النظرة الاستعمارية والتفرقة للاستعمار الاستيطاني الفرنسي تجاه المجتمع 1870-1962، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، م0، ع0، جامعة 20 أوث 1955، سكيكدة، جوان 2025.
18. قنون حياة، الاستيطان الفرنسي وصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن 19، مجلة الحوار المتوسطي، ع03، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس.

19. كوسة نور الدين، دور الدراسات الانثروبوجية الاستعمارية في تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، م02، ع03، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2007.
20. مدرو خميسة، مشروع بلوم فيوليت، إصلاحات ضائعة بين تماطل حكومة الجبهة الشعبية وسلطة اللوبي الجزائري 1936-1938، مجلة المعارف للبحوث والدراسات، م02، ع07، قسم التاريخ، جامعة 8ماي 1945.
21. المصباحي حسونة، ألكسيس دو تو كفيل، استعمار الجزائر، مقال من جريدة الشرق الأوسط الإلكترونية، ع8292، أوث 2001.

- الدراسات والرسائل الجامعية

1. محمد عقبي حسن موسى، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، إش: الرقب صالح حسين سليمان، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، بغزة، فلسطين، 2005.
2. طبعة حورية، السياسية الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة 1870-1954، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، الطور الثالث (ل.م.د)، إش: عبد المالك بوعريوة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أحمد دراية أدرار، 2019-2020.
3. بوشنافي محمد، آثار السياسة الاستيطانية على المجتمع الجزائري، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة قلمة سيدي بلعباس، قسم التاريخ.
4. بن شوش، التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1870 رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تاريخ، جامعة بن يوسف بن خدة، 2007-2008.
5. ثابتي حياة، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الوسط الوهراني 1929-1954، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: مخبوث بوداودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011.
6. قريشي محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية 1945-1954، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: سلطان عمار، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002.
7. دحماني توفيق، الضرائب في الجزائر 1792-1865، دراسة مقارنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، 2007-2008.

8. فشار عطاء الله، النخبة الجزائرية جذورها وتطورها اتجاهاتها 1914-1954، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة.
9. زوزو رشيد، الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، دولة في علم اجتماع التنمية، جامعة قسنطينة 2008.
10. رواحة عبد الحكيم، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1870-1930، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: لمياء بوقريوة، جامعة الحاج لخضر، باثنة، قسم التاريخ، 2013-2014.
11. حيدر صالح، السياسة العقارية الفرنسية 1830-1930، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، إش: علي أجقو، جامعة الحاج لخضر، باثنة، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2013-2014.
12. رحموني دليلة، السياسة الفرنسية في الجزائر وأثرها على المجتمع الجزائري 1830-1914، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ معاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012-2013.
13. العكروت خميلي، التعليم العالي الفرنسي الجزائر 1879-1962، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر المعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2016-2017.
- 14.

الملتقيات:

1. فارح رشيد، التنظيم القضائي، إبان الاحتلال بين العام وتميز العمال، الملتقى الوطني حول القضية إبان الثورة التحريرية، الجزائر، 2007.

فهرس المواضيع

الصفحة	العنوان
	ملخص.
أ - و	مقدمة.
	الفصل الأول: السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر.
9-6	المبحث الأول: ماهية الاستيطان الفرنسي وأسبابه.
16-10	المبحث الثاني: مراحل العملية الاستيطانية في الجزائر.
26-18	المبحث الثالث: آليات السياسة الاستيطانية في تبثث الوجود الأوروبي.
30-27	المبحث الرابع: أهداف العملية الاستيطانية.
	الفصل الثاني: سياسة التعسف والفرقة للإدارة الاستعارية تجاه الجزائريين.
44-32	المبحث الأول: الفرقة أمام القانون.
54-45	المبحث الثاني: التمييز في التعليم.
61-56	المبحث الثالث: الفرقة في التوظيف والأجور.
	الفصل الثالث: النزعة العنصرية الكولونالية تجاه المجتمع الجزائري.
75-63	المبحث الأول: النزعة العنصرية الاستعلائية للمستوطنين من خلال صحفهم.
87-76	المبحث الثاني: النزعة العنصرية الاستعلائية للمستوطنين من خلال كتاباتهم وآدابهم.
91-88	المبحث الثالث: النزعة العنصرية الاستعلائية للمستوطنين من خلال معاملاتهم.
94-93	خاتمة
104-96	ملاحق
117-107	بيبلوغرافيا